د. إبراهيم بن عبد الله الدويش

تفاؤله ﷺ في الأزمات

دار الميمان
للنشر والتوزيع

تفاؤله ﷺ
في الأزمات

© دار الميمان للنشر والتوزيع، ١٤٣٦هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الدويش، إبراهيم عبد الله
تفاؤله صلى الله عليه وسلم في الأزمات. / إبراهيم عبد الله الدويش.
- الرياض، ١٤٣٦ هـ
٨٠ ص؛ ١٧×٢٤سم
ردمك: ٥-٨٧-٨١٠٠-٦٠٣-٩٧٨

١- السيرة النبوية ٢- التفاؤل أ. العنوان
ديوي ٢٣٩ ١٤٣٦/٤٢٠١

رقم الإيداع: ١٤٣٦/٤٢٠١
ردمك: ٥-٨٧-٨١٠٠-٦٠٣-٩٧٨

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لدار الميمان للنشر والتوزيع، ولا يجوز طبع أي جزء من الكتاب أو ترجمته لأي لغة أو نقله أو حفظه ونسخه على أية هيئة أو نظام إلكتروني أو على الإنترنت دون موافقة كتابية من الناشر إلا في حالات الاقتباس المحدودة بغرض الدراسة مع وجوب ذكر المصدر.

جرى تنضيد الكتاب وتجهيزه للطباعة باستخدام برنامج أدوبي إنديزاين، وإدراج الآيات القرآنية بالرسم العثماني وفقًا لطبعة مجمع الملك فهد الأخيرة باستخدام برنامج «مصحف النشر للإنديزاين» الإصدار: (متعدد الروايات) وهي أداة برمجية plug-ins مطورة بواسطة شركة الدار العربية لتقنية المعلومات www.arabia-it.com الرائدة في مجال البرمجيات المتقدمة لخدمة التراث الإسلامي.
الصور مرخصة قانونيًا من www.shutterstock.com
الخطوط وتصميم الغلاف : دار الميمان للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى ١٤٣٦هجري - ٢٠١٥م

البريد الإلكتروني: info@daralmaiman.com
موقعنا على الإنترنت: www.daralmaiman.com
تابعنا على تويتر: @DarAlMaiman
هاتف: 4627336 11 966+
فاكس: 4612163 11 966+
جوال: 500004568 966+
ص.ب: 90020 الرياض 11613

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين، نبينا محمد بن عبد الله ﷺ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فإذا نظرنا في سيرة العظماء الناجحين... ممن دخلوا التاريخ من أوسع أبوابه وخلدوا أسماءهم في سجلاته، وكانت لهم إسهامات ملموسة ومشاريع وإنجازات عظيمة تستفيد منها البشرية على مر الأيام، وتنهل منها الأجيال المتعاقبة، نجد من خلال سيرهم أنهم يتميزون عن غيرهم -في الغالب- بالتفاؤل في المحن والشدائد والأزمات، ولعل هذا أبرز عنصر شارك فيه كلهم أو جلهم، ولعل هذا -أيضًا- سر من أسرار نجاحهم، وتميزهم عن غيرهم.

وذلك أن التفاؤل في الحالات الاعتيادية يتسم به كل صاحب فطرة سليمة؛ حيث إن الناس مجبولون على محبة التفاؤل والكلمة الحسنة، والأنس بها، مثلما أنهم مجبولون على الارتياح بالمنظر الأنيق الخلاب، والماء الصافي، والتأثر بالصوت الندي الشجي.

والذي يميز بين الناس هو التفاؤل عند الشدائد والأزمات، فكما أن الصبر الحقيقي عند الصدمة الأولى[1] فكذلك التفاؤل الحقيقي يكون في الأوقات العصيبة، وهو الذي

---

(١) كما جاء عن أَنَس بْن مَالِكٍ رضي الله عنه؛ أنه قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ، فَقَالَ: =

يبرز عنصر صاحبه ويكشف عن معدنه، ويدل على قوة إيمانه، وصلابة يقينه وإرادته.

وفي هذا الكتاب يتم بيان تفاؤل أعظم الناجحين وأفضل البشر، وأكثرهم نفعًا وخدمة للبشرية على الإطلاق، ليس في حالات الرخاء وأوقات السرور لكونها شيئًا مشتركًا بين الجميع، بل في حالات الشدائد والمحن والأزمات.

ويشتمل الكتاب على(٨٣) مرجعًا ومصدرًا علميًا ذكرتها في فهرس المصادر، ويشتمل -أيضًا- على (١٨) آية، و(٤٥) حديثًا، و(١٧) أثرًا، ومن خلالها نحاول أن نبرز صورًا مشرقة من تفاؤله ﷺ في الشدائد والأزمات، ونحاول أن نبرز مواقفه ﷺ في هذا الباب وسيرته العطرة التي كانت تكريسًا وتجسيدًا للتفاؤل بأسمى صوره، وأبهى حلله، ونقدم مواقف ونماذج عبقة فواحة تضيء دربنا، وتكون نبراسًا لنا في حياتنا، وخاصة لأولئك المحرومين من التفاؤل والغارقين في بحر التشاؤم، مما أفسد عليهم حياتهم، وأقعدهم عن العمل، وما أكثرهم في زماننا هذا!! ودليل ذلك ما تطالعنا به الصحف يوميًا والتقارير والدراسات بأعداد وأرقام صرعاه المهولة.

إليك أيها القارئ! وإلى كل مسلم سيطر عليه القلق والتشاؤم لحال المسلمين اليوم، وتفرقهم، وضعفهم، وتتابع الإساءات على عقيدتهم، وعلى بلادهم، وشعوبهم، إليك يا كل من ينتابه القلق والتشاؤم بين فينةٍ وأخرى- دواء مجرب من صيدلية النبوة، ومن طبيب النفوس والقلوب، والخبير بأدوائها وما يصلح حالها.

هنا تكمن أهمية الموضوع بالإضافة لأمور، منها:

١- عدم إفراد هذا الموضوع: (تفاؤله ﷺ في الشدائد والأزمات) بالبحث

= «اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي» قَالَتْ: إِلَيْكَ عَنِّي، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي، وَلَمْ تَعْرِفْهُ، فَقِيلَ لَهَا: إِنَّهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ، فَقَالَتْ: لَمْ أَعْرِفْكَ، فَقَالَ: «إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى» رواه البخاري في الجنائز، باب زيارة القبور (ح: ١٢٨٣)، ومسلم في الجنائز، باب في الصبر عند الصدمة الأولى (ح: ٩٢٦).

والدراسة مع أهميته البالغة في الرقي والنهوض بالأمة، والنهوض بالفرد وطموحاته.

٢- في التفاؤل حسن الظن بالله الذي هو واجب على كل مسلم ومسلمة، والتشاؤم فيه سوء الظن بالله.

٣- لليُمْن والتفاؤل أثر إيجابي عظيم، ودور مفصلي في حياة الأفراد والمجتمعات، وهو قرين الخير وحليف السعادة والتفوق والنجاح، وأنه بمثابة الروح التي تسري في الجسد فتحييه، وكما أن الجسد لا قوام له إلا بالروح فكذلك الحياة لا قوام لها إلا بالتفاؤل، وما أصدق قول الشاعر:

أُعَلِّلُ النَّفْسَ بِالآمَالِ أَرْقُبُهَا ... مَا أَضْيَقَ العَيْشَ لَولاَ فُسْحَةُ الأَمَلِ[1]

٤- الرغبة في خدمة السنة النبوية من خلال هذا الموضوع.

٥- الاقتداء بالنبي ﷺ القدوة في تفاؤله، وذلك لا يمكن إلا بعد الوقوف على تفاؤله ﷺ في جميع أحواله.

٦- محاربة التشاؤم الذي انتشر في أيامنا هذه بين كثير من الناس، وله آثار سلبية على حياة الأفراد والمجتمعات، وعلى نهوض العباد والبلاد، وأنه بريد النكد والتعاسة، وحليف الفشل والخذلان والتقاعس.

والكتاب يشتمل على مقدمة، وفصلين، وخاتمة، وفهرسين.

المقدمة تقدم فيها بيان أهمية الموضوع.

---

(١) البيت من لامية الطغرائي، انظر: شرح لامية العجم للدميري (ص: ٦)، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي (٣/ ١١١٢)، ووفيات الأعيان (٢/ ١٨٧)، وخزانة الأدب لابن حجة الحموي (١/ ١٨٧).

الفصل الأول في حبه ﷺ للفأل الحسن، ومعنى التفاؤل، وحكمه، وفوائده، وسمات المتفائلين.

[وفيه مباحث]:

المبحث الأول: حبه ﷺ للفأل الحسن، وأنه نابع من إيمانه ويقينه.

المبحث الثاني: التفاؤل في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثالث: حكم التفاؤل في الشرع.

المبحث الرابع: فوائد الفأل الحسن.

المبحث الخامس: سمات المتفائلين وفوائد الفأل الحسن.

والفصل الثاني في إبراز نماذج من تفاؤله ﷺ في الشدائد والأزمات.

[وفيه مبحثان]:

المبحث الأول: نماذج من تفاؤله ﷺ في الشدائد في حالات السِّلم.

المبحث الثاني: نماذج من تفاؤله ﷺ في حالات الحرب.

والخاتمة فيها بيان النتائج التي توصل إليها البحث.

والفهرسان: الأول للمصادر والمراجع، وآخر للموضوعات.

إبراهيم بن عبد الله الدويش

السعودية - القصيم - الرس

aldwayish3@gmail.com

تويتر: *ibrahim-aldwish@gmail.com*

الفصل الأول

في حبه ﷺ للفأل الحسن، ومعنى التفاؤل، وحكمه، وفوائده، وسمات المتفائلين

المبحث الأول

حبه ﷺ للفأل الحسن، وأنه نابع من إيمانه ويقينه

التفاؤل في الشدائد والأزمات يظهر معدن صاحبه، ويبين أصله، ويكشف عن حقيقته، ولا يتصف به إلا الأفذاذ من الناس، كما قال الصادق المصدوق ﷺ: «إِنَّمَا النَّاسُ كَالْإِبِلِ الْمائَةِ لَا تَكَادُ تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً[1]»[2].

ومن خلال تتبعي لسيرة خاتم الأنبياء والمرسلين، وأفضل خلق الله أجمعين، محمدٍ ﷺ وجدته أعظمَ المتفائلين على الإطلاق في حياته كلها، بل كان يحب التفاؤل والفأل الحسن، ويعجب به في شئونه كلها، قال الحافظ في شرح قول عائشة: كان النبي ﷺ: «يُعْجِبُهُ التَّيَمُّنُ، فِي تَنَعُّلِهِ، وَتَرَجُّلِهِ، وَطُهُورِهِ، وَفِي شَأْنِهِ كُلِّهِ»[3]-: «قيل: لأنه كان يحب الفأل الحسن، إذ أصحاب اليمين أهل الجنة»[4].

---

(١) معنى الحديث: أن المرضي المنتجب من الناس في عزة وجوده، كالنجيب من الإبل الذي لا يوجد في كثير من الإبل. انظر: الفائق في غريب الحديث للزمخشري (٢/ ٤٨)، وفتح الباري (١١/ ٣٣٥).

(٢) متفق عليه، رواه البخاري في الرقاق، باب رفع الأمانة (ح: ٦٤٩٨). ومسلم في فضائل الصحابة، باب قوله ﷺ: «الناس كإبل مائة، لا تجد فيها راحلة» (ح: ٢٥٤٧).

(٣) متفق عليه، رواه البخاري في الوضوء، باب التيمن في الوضوء والغسل (ح: ١٦٨)، ومسلم في الطهارة، باب التيمن في الطهور وغيره (ح: ٢٦٨).

(٤) فتح الباري (١/ ٢٦٩).

ولم يكن تفاؤله ﷺ مقتصرًا على أيام الرخاء وأوقات الفرح والسرور، بل كان متفائلًا في جميع الأحوال، في السراء والضراء، والمنشط والمكره، والحل والترحال، وسائر الأحوال، ومن اللطائف العجيبة أن تفاؤله ﷺ يتألق أكثر ويبلغ أوْجَه وقمَّته في حروبه وغزواته، وأيام المحن وأوقات الشدائد، مما يؤكد أن التفاؤل كان منهجًا عمليًّا له ﷺ.

ومن يقف على صور من تفاؤله ﷺ يجد أن تفاؤله كان نابعًا من عقيدة قوية، وإيمان راسخ، ويقينٌ كاملٌ بالله سبحانه وتعالى، وتعبيرًا صادقًا عن صدق التوكل والرجاء وحسن الظن بالله سبحانه وتعالى. وكان نعم الدليل على الثبات في المبدأ، والوضوح في الرؤية والهدف، والمعيار الرباني والمقياس الإيماني للأمور، ولذا لم تكن المحن والأزمات يومًا -مهما بلغت قسوةً وضراوةً - تخرجه عن طبعه واعتداله، أو تغير من أخلاقه وآدابه، وقيمه ومبادئه، أو تثنيه عن غاياته وأهدافه، وتميل به يمنة أو يسرة.

وَمَـنْ تَكُـنْ قُـوَّةُ الإِيمَـانِ نَاصِرَهُ ... فَأَعْظَمُ الْخَطْبِ هَيْنٌ حِينَ يَصْطَدِمُ

إِنَّ الْعَقِيـدَةَ نِـدٌّ لِلْحَيَـاةِ فَـإِنْ ... ضَاعَتْ فَكُلُّ حَيَاةٍ بَعْدَهَا عَـدَمُ[1]

كما أن تفاؤله ﷺ لم يكن مجرد أمنيات تُتخذ مسوغًا وتكأة للقعود والنكوص، وذريعة للتخاذل والتقاعس، بل تفاؤل إيجابي يصحبه يقين قوي وعزم راسخ صادق فولاذي، يعمق الثقة بالنفس، ويزرع الأمل لمستقبل مشرق، ويدعو إلى الجدِّ والاجتهاد، والصبر والمثابرة، ويحفز الهمة والنشاط، ولا شك أن هذه كلها من مقومات النجاح، وعناصر ضرورية لتحقيق النصر.

(١) البيتان للشاعر محمد مصطفى الماحي، انظر: الماحي شاعر العروبة (ص: ٥)، للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، والدكتور عبد العزيز شرف.

المبحث الثاني

التفاؤل لغةً واصطلاحًا

التفاؤل لغةً: من الفأل وهو: ضد الطِّيَرَة، والجمع فُؤول، قال الجوهري: الجمع أَفْؤُل. والتفاؤل: قول أو فعل يُستبشر به، مثل أن يكون رجل مريض فيتفاءل بما يسمع من كلام فيسمع آخر يقول: يا سالم، أو يكون طالب ضالَّة فيسمع آخر يقول: يا واجد، فيقع في ظنه أنه يبرأ من مرضه ويجد ضالّته، ومنه الحديث: قيل: يا رسولَ اللّه: ما الفَأل؟ فقال: «الكَلِمَة الصَّالِحة»[1][2].

وقد يستعمل الفأل فيما يكره ويقال: (لَا فأل عَلَيْك) أي: لا ضير عليك، ولا طير عليك، ولا شرّ عليك[3]. إلا أن هذا نادر، والأصل أنه يستعمل في الخير، بل الشرع خصه بذلك.

---

(١) متفق عليه، وسيأتي تخريجه في المبحث الثالث: حكم الفأل الحسن.

(٢) انظر: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (ص: ١٧٣). والصحاح للجوهري (٦/ ٦٦). والفائق في غريب الحديث (٣/ ٨٦)، غريب الحديث لابن الجوزي (٢/ ١٧٣). والنهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٧٦٦). والمفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٥/ ٦٢٧). ولسان العرب (١١/ ٥١٣-٥١٤). والقاموس المحيط (١/ ١٣٤٥).

(٣) انظر: تهذيب اللغة (١٥/ ٢٧١). ولسان العرب (١١/ ٥١٣). تاج العروس (٣٠/ ١٤٣). والمعجم الوسيط (٢/ ٦٧١).

قال النووي: (الفأل يستعمل فيما يسوء وفيما يسر، وأكثره في السرور، والطيرة لا تكون إلا في الشؤم، وقد تستعمل مجازًا في السرور)[1].

قال الحافظ معقبًا على كلام النووي: (وكأن ذلك بحسب الواقع، وأما الشرع فخص الطيرة بما يسوء، والفأل بما يسرّ)[2].

والمعنى الاصطلاحي للتفاؤل لا يختلف كثيرًا عن المعنى اللغوي، عَرَّفه القرافي بقوله: (وأما الفأل فهو ما يظن عنده الخير عكس الطيرة والتطير؛ غير أنه تارة يتعين للخير، وتارة للشر، وتارة مترددًا بينهما، فالمتعين للخير مثل: الكلمة الحسنة يسمعها الرجل من غير قصد نحو: يا فلاح يا مسعود)[3].

وعرَّفه البعض تعريفًا أشمل وأقرب إلى لغة العصر فقال: (هو استقراء المستقبل في ملامح الحاضر، والشعور بالتنبؤ بما يأتي، وترقب ما سيحصل للإنسان عند سماعه شيئًا حسنًا أو رؤيته له)[4].

والأقرب أن المراد بالتّفاؤل هو: (انشراح قلب الإنسان، وإحسانه الظّنّ، وتوقّع الخير بما يسمعه من الكلم الصّالح أو الحسن أو الطّيّب)[5].

(١) نقله عنه الحافظ بتصرف في فتح الباري (١٠/ ٢١٥). وانظر: شرح النووي على مسلم (١٤/ ٢١٩).

(٢) فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٢١٥).

(٣) أنوار البروق في أنواع الفروق للقرافي (٤/ ١٣٧١).

(٤) موسوعة القيم ومكارم الأخلاق (التفاؤل)، للدكتور مرزوق (ص: ١٠).

(٥) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٣/ ١٠٤٦).

المبحث الثالث

حكم الفأل الحسن

الفأل الحسن من غير قصد جائز باتفاق العلماء، مثل: التفاؤل والتيمن عند سماع الكلمة الحسنة الطيبة الصالحة، كأن يسمع المريضُ: يَا سَالِمُ، أَوْ يَسْمَعُ طَالِبُ الضَّالَّةِ: يَا وَاجِدُ، أَوْ يُسَمِّي وَلَدَهُ اسْمًا حَسَنًا فَيَفْرَحُ عِنْدَ سَمَاعِهِ. أو رؤية شيء يؤمل منه الخير، ويبعث في النفس الفرح والسرور، فيستبشر بذلك ويبتهج، وينشرح له صدره[1].

وهذا جار على مقتضى الأصل في الشريعة الإسلامية من أن أحكامها تأتي متوافقة مع الفطر السليمة، وقد جعل الله في فطر الناس وغرائزهم حب الكلمة الطيبة، والعبارة اللطيفة، والبشارة المفرحة، وقال ابن قتيبة: (وهذا أيضًا -أي: حب الفأل الحسن- مما جُعل في غرائز الناس، تستحبه، وتأنس به، كما جُعل على ألسنتهم من التحية بالسلام، والمد في الأمنية، والتبشير بالخير.

وكما يقال: «انعم واسلم» و«انعم صباحًا».. والسامع لهذا يعلم أنه لا يقدم ولا يؤخر، ولا يزيد ولا ينقص، ولكن جعل في الطباع محبة الخير والارتياح للبشرى، والمنظر الأنيق، والوجه الحسن، والاسم الخفيف.

---

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٢١٥). والموسوعة الفقهية الكويتية (١٣/ ٧٧ - ٧٨).

وقد يمر الرجل بالروضة المنورة[1] فتسره، وهي لا تنفعه، وبالماء الصافي فيعجب به وهو لا يشربه ولا يورده)[2].

ومن شَرْط جواز الفأل الحسن ألَّا يقصد إليه، وإن قصده فيصير من الطِّيرة[3].

ولهذا السبب صار أخذ الفأل من المصحف حرامًا على الصحيح من أقوال أهل العلم، كأن يفتحه فيتفاءل ببعض الآيات في أول الصفحة، أو يتفاءل بضرب الرَّمل، فيتفاءل ببعض رموزه فحرام؛ لأنه من باب الاستقسام بالأزلام، فالمستقسم يطلب قسمه من الغيب، وكذلك من أخذ الفأل من المصحف أو غيره إنما يعتقد هذا المقصد إن خرج جيدًا اتبعه، أو رديًّا اجتنبه، فهو عين الاستقسام بالأزلام الذي ورد القرآن بتحريمه[4].

وهناك نصوص عديدة تدل على جواز الفأل الحسن بل استحبابه، ومنها:

- حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ: الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ، الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ»[5].

- وحديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لا طِيَرَةَ، وَخَيْرُهَا الْفَأْلُ» قَالُوا: وَمَا الْفَأْلُ؟ قَالَ: «الْكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ»[6].

---

(١) أي: المزهرة. انظر: المعجم الوسيط (٢/ ٩٦١- ٩٦٢).

(٢) تأويل مختلف الحديث (ص: ١٧٣).

(٣) انظر: فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٢١٥). والموسوعة الفقهية الكويتية (٤/ ٥٦، ١٣/ ٧٧- ٧٨).

(٤) انظر: أنوار البروق في أنواع الفروق (٤/ ١٣٧١- ١٣٧٢). والأذكار للنووي (ص: ٢٥٦). وكشاف القناع للبهوتي (١/ ١٣٦). والموسوعة الفقهية الكويتية (٤/ ٥٦).

(٥) متفق عليه، رواه البخاري في الطب، باب الفأل (ح: ٥٧٥٦). ومسلم -واللفظ له- في السلام، باب الطيرة والفأل وما يكون فيه الشؤم (ح: ٢٢٢٤).

(٦) متفق عليه، رواه البخاري في الطب، باب الطيرة (ح: ٥٧٥٤)، ومسلم في السلام، باب الطيرة والفأل وما يكون فيه الشؤم (ح: ٢٢٢٣) من حديث أبي هريرة.

- وحديث بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ لَا يَتَطَيَّرُ مِنْ شَيْءٍ، وَكَانَ إِذَا بَعَثَ عَامِلًا سَأَلَ عَنْ اسْمِهِ، فَإِذَا أَعْجَبَهُ اسْمُهُ فَرِحَ بِهِ، وَرُئِيَ بِشْرُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، وَإِنْ كَرِهَ اسْمَهُ رُئِيَ كَرَاهِيَةُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، وَإِذَا دَخَلَ قَرْيَةً سَأَلَ عَنْ اسْمِهَا، فَإِنْ أَعْجَبَهُ اسْمُهَا فَرِحَ، وَرُئِيَ بِشْرُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، وَإِنْ كَرِهَ اسْمَهَا رُئِيَ كَرَاهِيَةُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ»[1].

- وحديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ «كَانَ يُعْجِبُهُ إِذَا خَرَجَ لِحَاجَةٍ أَنْ يَسْمَعَ يَا رَاشِدُ، يَا نَجِيحُ»[2].

فكان ﷺ يستحسن سماع هذين الاسمين ويتفاءل بهما؛ لأن معنى (رَاشِد): واجد الطريق المستقيم، ومعنى (نَجيح): مَنْ قُضِيَتْ حاجته[3].

وأما التشاؤم والتطير فقد تظافرت النصوص من الكتاب والسنة على تحريمهما، وأنهما من أعمال أهل الشّرك إذا كان يعتقد حصول الضّرر بِمَا يُتطيّر به. ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾﴾[4].

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٣٤٧، ٣٤٨). وأبو داود في الكهانة والتطير، باب في الخط وزجر الطير (ح: ٣٩٢٠). والبيهقي في (السنن الكبرى، ٨/ ١٤٠). وحسنه ابن حجر في (الفتح، ١٠/ ٢١٥). وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح: ٣٣١٩)، وهو في الصحيحة (ح: ٧٦٢)، وحسنه الأرنؤوط ومن معه في تحقيقهم للمسند (ح: ٢٢٩٤٦).

(٢) رواه الترمذي في السير، باب ما جاء في الطيرة (ح: ١٦١٦) وقَالَ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ». والطبراني في الأوسط (٤/ ٢٧٤). وصححه الألباني في صحيح الترمذي (ح: ١٣١٦).

(٣) انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٧/ ٢٩٠٠)، وتحفة الأحوذي بشرح الترمذي (٥/ ٢٠٠).

(٤) سورة النساء [٧٨].

وقال ﷺ - فيما يرويه عنه أبو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ، وَلَا هَامَةَ وَلَا صَفَرَ»[1].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ -ثَلَاثًا- وَمَا مِنَّا إِلَّا[2]، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ»[3].

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: (وإنما جعل ذلك شركًا لاعتقادهم أن

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري في الطب، باب لا هامة (ح: ٥٧٥٧) واللفظ له، ومسلم في السلام، باب: لا عدوى ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر (ح: ٢٢٢٠).

(٢) قَوْله (وَمَا مِنَّا إلا) أي: ما منا أحد إلا ويعتريه شيء ما منه في أوّل الأمر قبل التّأمّل. انظر: معالم السنن (٤/ ٢٣٢)، وفيض القدير (٤/ ٢٩٤)، وكفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه للسندي (٢/ ٣٦٣).

(٣) رواه أحمد (١/ ٣٨٩، ٤٣٨، ٤٤٠). والبخاري في الأدب المفرد، باب ما يقول الرجل إذا رأى غيمًا (ح: ٩٠٩). وأبو داود في الطب، باب ما جاء في الطيرة (ح: ٣٩١٠). والترمذي في السير، باب ما جاء في الطيرة (ح: ١٦١٤)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح». وابن ماجه في الطب، باب ما كان يعجبه الفأل، ويكره الطيرة (ح: ٣٥٣٨). وابن حبان في صحيحه (ح: ٦١٢٢). والحاكم (١/ ١٨). والبيهقي في (الكبرى، ٨/ ١٣٩). والحديث صحيح، صححه الترمذي وابن حبان والحاكم وقال: «صحيح سنده، ثقات رواته، ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي. وصححه أحمد شاكر في تحقيقه للمسند(٣/ ٥٤٦) والألباني في الصحيحة (ح: ٤٢٩)، والأرنؤوط وزملاؤه في تحقيقهم للمسند(٦/ ٢١٣).
وأما قوله: «وما منا إلَّا ولكن الله يذهبه بالتوكل». فمدرج من كلام ابن مسعود، قال الترمذي: «سمعت محمد بن إسماعيل (يعني: البخاري) يقول: كان سليمان بن حرب يقول: في هذا الحديث «وما منا إلَّا ولكن الله يذهبه بالتوكل». قال سليمان: هذا عندي قول عبد الله بن مسعود: وما منا».
وقال الحافظ في (الفتح، ١٠/ ٢١٣): «وقوله «وما منا إلا» من كلام ابن مسعود أدرج في الخبر وقد بينه سليمان بن حرب شيخ البخاري فيما حكاه الترمذي عن البخاري عنه».

ذلك يجلب نفعًا، أو يدفع ضرًّا، فكأنهم أشركوه مع الله سبحانه وتعالى)[1].

وقال العلامة الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-: (واعلم أن التطير ينافي التوحيد، ووجه منافاته له من وجهين:

الأول: أن المتطير قطع توكله على الله، واعتمد على غيره.

الثاني: أنه تعلق بأمر لا حقيقة له؛ فأي رابطة بين هذا الأمر وبين ما يحصل لك؟! وهذا لا شك أنه يخلُّ بالتوحيد؛ لأن التوحيد عبادة واستعانة، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾[2]، إذن فالطيرة محرمة، وهي منافية للتوحيد..)[3].

(١) فتح الباري (١٤/ ٤٧١). وانظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٧/ ٢٨٩٧)، ونيل الأوطار (٧/ ٢١٧).

(٢) سورة الفاتحة [٥].

(٣) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ٧٧ - ٧٨).

المبحث الرابع

فوائد التفاؤل

للتفاؤل فوائد جمة كثيرة، دينية ودنيوية، ومن أعظمها:

١- الاقتداء بالنبي ﷺ، واتباع هديه الشريف، حيث كان لا يفارقه التفاؤل أبـدًا حتى في حروبه وغزواته كما سـبق، والخيـر كل الخير في اتباع سنته ﷺ وهديه. وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾[1].

٢- أن التفاؤل من باب حسـن الظّنّ باللّه سبحانه وتعالى. قال ابن عبّاس -رضـي اللّه عنهما-: (الفـرق بين الفأل والطّيـرة أنّ الفأل من طريق حسن الظّنّ باللّه، والطّيرة لا تكون إلّا في السّوء فلذلك كُرِهَتْ)[2].

قال الحليميّ: (كان النّبيّ ﷺ يعجبه الفأل؛ لأنّ التّشاؤم سوء ظنّ باللّه -تعالى- بغير سبب محقّق. والتّفاؤل حسـن ظنّ به، والمؤمن مأمور بحسن الظّنّ باللّه -تعالى- على كلّ حال)[3].

---

(١) سورة الأحزاب: [٢١].

(٢) فتح الباري (١٠/ ٢١٥).

(٣) المرجع السابق نفسه.

٣- أنه يجلب السّعادة إلى النّفس، والانشراح إلى القلب بإذن الله سبحانه وتعالى. وكان ﷺ يتفاءل بحسن الصورة والوجه، فعنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أَبَرَدْتُمْ إِلَيَّ بَرِيدًا[1] فَاجْعَلُوهُ حَسَنَ الْوَجْهِ حَسَنَ الِاسْمِ»[2].

---

(١) قوله (أَبَرَدْتُمْ إِلَيّ بَرِيدًا) بَرَدَه وأَبْرَدَه: أَرسَلَه بَرِيدًا، أي أنفَذْتُم رسولًا، وأرسلتم إليَّ من يحمل البريد.
انظر: غريب الحديث لابن الجوزي (١/ ٦٤). والنهاية لابن الأثير (١/ ٢٩٣). وتاج العروس (٧/ ٤١٨).

(٢) رواه البزار في مسنده (البحر الزخار، ح: ٤٣٨٣)، من حديث بريدة رضي الله عنه، ورجال سنده ثقات رجال الشيخين. قال البزار: «وَهَذَا الْحَدِيث لا نَعْلَمُ رَوَاهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ إلا قَتَادَةُ». وذكره الهيثمي في (كشف الأستار، ح: ١٩٨٥). وقال السيوطي في اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة (١/ ١٠٣): «قَالَ الهيثمي فِي زوائده هَذَا إِسنادٌ صَحِيح» وأقره السيوطي. ولعلها زوائد مفردة ولم يذكره الهيثمي في مجمع الزوائد من حديث بريدة. وانظر: الفوائد المجموعة مع حاشية المعلمي عليه (ص: ٢٢٠). وصححه الألباني في (صحيح الجامع، ح: ٤١٣). وقال في (الصحيحة، ح: ١١٨٦): «ورجال إسناده ثقات كلهم من رجال الشيخين». وقال أيضًا في الصحيحة (٧/ ١٧٣٨) ردًّا على من ضعف الحديث بوجود قتادة في السند وهو مدلس وقد عنعن: «..وهذا إسناد صحيح، وقد صححه الهيثمي، والحافظ ابن حجر العسقلاني في «مختصر الزوائد» (٢/ ٢٠٣/ ١٧٠٠ - المطبوعة)، وذلك منهما إشعار بعدم اعتدادهما بعنعنة قتادة؛ فإنه كان معروفًا بالتدليس، ولعل ذلك لأنه كان لا يدلس إلا عن ثقة، كما نقله العلائي في «التحصيل» ص (١١٢)، أو لقلة تدليسه؛ فقد قال الحافظ في «مقدمة الفتح» (ص ٤٣٦): «أحد الأثبات المشهورين، كان يضرب به المثل في الحفظ؛ إلا أنه كان ربما دلس». ولذلك اقتصر في «التقريب» على قوله: «ثقة ثبت» انتهى.
وللحديث شاهد من حديث أبي هريرة رواه البزار أيضًا (الكشف، ٢/ ٤١٢، ح: ١٩٨٦) وأبو الشيخ في (أخلاق النبي ﷺ، ح: ٧٩٦). وفيه عمر بن راشد، ضعيف كما في (التقريب، ترجمة: ٤٩٢٨). =

٤- أن التفاؤل يتضمن الرجاء والأمل، فالرجاء خير للمؤمن من اليأس والقنوط في كل الأحوال، قال ابن الأثير: (وإنَّما أحَبَّ ﷺ الفأل؛ لأنّ الناسَ إذا أمَّلُوا الفائدة من اللّه -تعالى- ورَجَوْا عائدَتَه عند كلّ سبب ضَعِيف أو قَويّ فهم على خير ولو غَلِطوا في جهة الرجاء، فإنَّ الرَّجاء لهم خير. وإذا قَطَعوا أمَلَهم ورَجَاءَهم من اللّه كان ذلك من الشَّرّ. وأما الطِّيَرة فإنَّ فيها سُوءَ الظَّنّ بالله وتوقُّعَ البلاء)[1].

٥- التفاؤل خير، لأنه يشرح الصدر، ويفرح القلب، وينشط اللسان، ويقوي العزم، ويعين على الظفر، ويبعث على الجد والاجتهاد، أما التشاؤم فإنه بخلاف ذلك كله.

٦- أن للأسماء الحسنة تأثيرًا لمسمياتها، فمعاني الأسماء مرتبطة بمسمياتها حتى كأن معانيها مأخوذة منها، وكأن الأسماء مشتقة منها، ألا ترى إلى قوله ﷺ: «أَسْلَمُ سَالَمَهَا اللَّهُ، وَغِفَارٌ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا، وَعُصَيَّةُ عَصَتِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ» مما يدل على تأثير الأسماء في مسمياتها. وَإِنَّمَا اخْتَصَّتْ قبيلتا (غِفار وأسلم) بهذا الدعاء المبارك؛ لِأَنَّ غِفَارًا أَسْلَمُوا قَدِيمًا، وَأَسْلَمُ سَالَمَهَا النَّبِيُّ ﷺ.

= قال الهيثمي في (المجمع، ٨/ ٤٧): «رواه البزار والطبراني في الأوسط، وفي إسناد الطبراني عمر بن راشد، وثقه العجلي وضعفه جمهور الأئمة، وبقية رجاله ثقات، وطرق البزار ضعيفة».

الحديثان يقوي أحدهما الآخر، قال السخاوي في المقاصد الحسنة(١/ ١٤٩). بعد أن ذكر حديث بريدة وأبي هريرة: «وأحدهما يقوي الآخر». ولذا تعقب العلماء ابن الجوزي حينما أورد الحديث في الموضوعات (١/ ١٦٠) وقال: «هَذَا لَا يَصِحُّ». انظر: تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة لابن عراق الكناني (١/ ٢٠٠)، والأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة لعلي القارئ (ص: ٤٣٨).

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٤٠٥-٤٠٦).

وأما قبيلة (عُصَيَّةُ)[1] فقد عصت الله ورسوله، وارتكبوا جرمًا عظيمًا في حق خيرة الصحابة وعلمائهم، لأنهم عاهدوا النبي ﷺ فغدروا وقتلوا سبعين من الْقُرَّاء بِبِئْرِ مَعُونَةَ، وتأثر النبي ﷺ بما نزل لهؤلاء الصحابة من القراء، وقَنَتَ ﷺ بَعْدَ الرُّكُوعِ شَهْرًا يَدْعُو عَلَى رِعْلٍ وَذَكْوَانَ وَيَقُولُ: «عُصَيَّةُ عَصَتِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ»[2].

وفي الصحيحين عن ابن الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِجَدِّهِ -جَدِّ سَعِيدٍ-: «مَا اسْمُكَ؟» قَالَ: حَزْنٌ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بَلْ أَنْتَ سَهْلٌ» فَقَالَ: لَا أُغَيِّرُ اسْمًا سَمَّانِيهِ أَبِي. قَالَ ابْنُ الْمُسَيَّبِ: فَمَا زَالَتْ فِينَا حُزُونَةٌ بَعْدُ[3].

قال الإمام ابن قيم الجوزية -: (لما كانت الأسماء قوالب للمعاني، ودالة عليها، اقتضت الحكمة أن يكون بينها وبينها ارتباط وتناسب، وألَّا يكون المعنى معها بمنزلة الأجنبي المحض الذي لا تعلق له بها، فإن حكمة الحكيم تأبى ذلك، والواقع يشهد بخلافه، بل للأسماء تأثير في المسميات، وللمسميات تأثر عن أسمائها، في الحسن والقبح، والخفة والثقل، واللطافة والكثافة، كما قيل:

وقلما أبصرتْ عيناك ذا لقب ... إلا ومعناه إن فكرت في لقبه)[4].

---

(١) هم بطن من بني سليم، ينسبون إلى عصيَّة بن خُفاف بن امرئ القيس بن بُهْثَة بن سُلَيْم. انظر: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب (ص: ٣٦٣)، وفتح الباري (٦/ ٥٤٤).

(٢) رواه البخاري في المغازي، باب غزوة الرجيع ورعل وذكوان، وبئر معونة، وحديث عضل وقارة.. (ح: ٤٠٩٤). ومسلم في المساجد، بَاب اسْتِحْبَابِ الْقُنُوتِ فِي جَمِيعِ الصَّلَاةِ إِذَا نَزَلَتْ بِالْمُسْلِمِينَ نَازِلَةٌ (ح: ٦٧٧). من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) رواه البخاري في الأدب، باب اسم الحزن (ح: ٦١٩٠).

(٤) زاد المعاد في هدى خير العباد (٢/ ٣٣٦)، فصل في هديه في الأسماء والكنى.

وقال أيضًا: (والله -سبحانه- بحكمته في قضائه وقدره يلهم النفوس أن تضع الأسماء على حسب مسمياتها؛ لتناسب حكمته سبحانه وتعالى بين اللفظ ومعناه كما تناسبت بين الأسباب ومسبباتها، قال أبو الفتح ابن جني: ولقد مر بي دهر وأنا أسمع الاسم لا أدري معناه فآخذ معناه من لفظه ثم أكشفه فإذا هو ذلك بعينه أو قريب منه، فذكرت ذلك لشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- فقال وأنا يقع لي ذلك كثيرًا...

وبالجملة فالأخلاق والأعمال والأفعال القبيحة تستدعي أسماء تناسبها، وأضدادها تستدعي أسماء تناسبها، وكما أن ذلك ثابت في أسماء الأوصاف فهو كذلك في أسماء الأعلام، وما سمي رسول الله ﷺ محمدًا وأحمد إلا لكثرة خصال الحمد فيه، ولهذا كان لواء الحمد بيده، وأمته الحمَّادون، وهو أعظم الخلق حمدًا لربه سبحانه وتعالى،... صاحب الاسم الحسن قد يستحي من اسمه، وقد يحمله اسمه على فعل ما يناسبه وترك ما يضادّه، ولهذا ترى أكثر السفل أسماؤهم تناسبهم، وأكثر العلية أسماؤهم تناسبهم. وبالله التوفيق)[1].

٧- أن الفأل -بإذن الله سبحانه وتعالى- كثيرًا ما يكون سببًا لحصول الخير، كما أن الطِّيَرَة قد تكون على من تطيَّر، قال الحافظ: (...وربما وقع به ذلك المكروه بعينه الذي اعتقده عقوبة له كما كان يقع كثيرًا لأهل الجاهلية، والله أعلم)[2].

ونقل ابن القيم عن طائفة من العلماء قولهم: (...وقد يجعل الله سبحانه وتعالى تطير العبد وتشاؤمه سببًا لحلول المكروه به، كما

(١) تحفة المودود بأحكام المولود (ص: ١٤٦ - ١٤٧).

(٢) فتح الباري (١٠/ ٢١٥).

يجعل الثقة والتوكل عليه وإفراده بالخوف والرجاء من أعظم الأسباب التي يدفع بها الشـــر المتطير به، وسر هذا أن الطيرة إنما تتضمن الشرك بالله سبحانه وتعالى، والخوف من غيره، وعدم التوكل عليه، والثقة به، كان صاحبها غرضًا لســـهام الشر والبلاء، فيتســـرع نفوذها فيه؛ لأنه لم يتـــدرع من التوحيد والتوكل بِجُنَّة واقية، وكل من خاف شـــيئًا غير الله ســـلط عليه، كما أن من أحب مع الله غيـــره عُذِّب به، ومن رجا مع الله غيره خُذل من جهته.

وهذه أمـــور تجربتها تكفي عن أدلتها، والنفـــس لا بد أن تتطير، ولكن المؤمن القوي الإيمان يدفـــع موجب تطيره بالتوكل على الله، فإن من توكل على الله وحده كفاه من غيره، قال سبحانه وتعالى[1]: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٩٨ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٩٩ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ۝١٠٠﴾[2].

(١) سورة النحل: [٩٨ - ١٠٠].

(٢) مفتاح دار السعادة (٣/ ٣٤٠).

المبحث الخامس

في سمات المتفائلين

يظهر بالمشاهدة واستقراء أحوال المتفائلين أن من أبرز سماتهم:

أولًا: قوة الإيمان، وعظيم التوكل على الله سبحانه وتعالى، فالإيمان أعظم دافع للتفاؤل، وأكبر مشجع عليه، وكلما كان الإيمان قويًّا كان التفاؤل عظيمًا، ولذا كان النبي ﷺ من أكثر الناس تفاؤلًا على الإطلاق؛ لأنه ﷺ أقوى الناس إيمانًا بربه سبحانه، وأعلمهم بالله وبحقوقه، وأتقاهم له سبحانه.

ومن حق الله العظيم أن نحسن الظن به سبحانه، والتفاؤل من باب حسن الظن بالله. فعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ يَقُولُ: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»[1].

وأما التطير والتشاؤم والقنوط واليأس كلها نتائج لضعف الإيمان أو عدم رسوخه، أو عدمه كليًّا نعوذ بالله من ذلك، بل إن وصف التشاؤم والتطير قد قرن بالضلال وصار صفة للكافرين، قال سبحانه وتعالى حاكيًا عن نبيه يعقوب عليه السلام: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ

(١) رواه مسلم في الفتن، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت (ح: ٢٨٧٧).

وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾[2].

ثانيًا: **المتفائل لا يضخم الأمور، كما أنه لا يهون من شأنها، بل هو حريص على أن يكون متزنًا وموضوعيًّا في كل الأحوال وخاصة في الشدائد والأهوال، وأنه يزن الأمور بميزان دقيق فيعطي كل ذي حق حقه. ولا تغلبه عاطفته وتقوده حماسته في الحكم على الشيء، بل يقدر الموقف والحال، ومهما كان الأمر فالمتفائل لا يتصرف بطيش، ولا يفقد رشده، ولا يطير صوابه في نظرته للأمور والحكم عليها، ولا يضيع اتجاه البوصلة لديه، كما هو حال المتشائمين، وحال المنافقين الذين وصفهم الله بالتذبذب في قوله سبحانه: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾[3]، فمَثَلُهم كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ، المترددة المتحيرة بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ، لا تَدْرِي لِأَيِّهِمَا تَتْبَعُ، تَكِرُّ فِي هَذِهِ مَرَّةً، وَتعطفُ فِي هَذِهِ أُخْرَى[4]. كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾﴾[5]. فهم لا يثبتون على حال، ويعمهون في ريب وغيٍّ وضلال، فإن وجدوا ما يحبون استقروا وثبتوا، وإن لم يجدوا ما تمنوه انتكسوا وجحدوا، كما قال الله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِۖ وَلَئِن

(١) سورة يوسف: [٨٧]. (٢) سورة الحجر: [٥٦].

(٣) سورة النساء: [١٤٣].

(٤) كما جاء في الحديث «مَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ، تَعِيرُ إِلَى هَذِهِ مَرَّةً، وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً». رواه مسلم في صفات المنافقين، باب صفات المنافقين وأحكامهم (ح: ٢٧٨٤).

(٥) سورة الحج: [١١].

جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ أَوَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾[1].

ثالثًا: دوام البشـــر واللطف والهدوء. فالإنسان المتفائل إنسان اجتماعي يحافظ على إيجابيتـــه وتوازنه حتى ولو كان في أحلك الظروف، فيلقى الناس بما يجب أن يُلقى به، يقابلهم بالبشر والبشاشة، والابتسامة والترحيب، ويحب أن يُدخل السرور في قلب أخيه، ولا يحقر من المعروف شيئًا ولو أن يلقى أخاه بوجه طليق[2].

وهكذا كان صفات أعظم الخلق تفاؤلًا، فيقول جرير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا حَجَبَنِي النَّبِيُّ ﷺ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلَا رَآنِي إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي»[3].

وفي سنن الترمذي ومســـند أحمد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ قَالَ: (مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ تَبَسُّمًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ)[4].

---

(١) سورة العنكبوت: [١٠].

(٢) كما قال ﷺ: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنْ الْمَعْرُوفِ شَـيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ» رواه مسلم في البر والصلة، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء (ح: ٢٦٢٦).

(٣) متفق عليه، رواه البخاري في الجهاد والسـير، بـاب من لا يثبت على الخيل (ح: ٣٠٣٥). ومسلم في فضائل الصحابة، باب فضائل جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ح: ٢٤٧٥).

(٤) رواه أحمد (٤/ ١٩٠). والترمذي في المناقب، باب: في بشاشـة النبي ﷺ (ح: ٣٦٤١)، وقال: «حديث غريب»، وفي الشمائل، باب ما جاء في ضحك رسول الله ﷺ (ح:٢١٧). وابن المبارك في (الزهد، ح: ١٤٥). وقد صححه الألباني في مختصر الشمائل (ح: ١٩٦) وقال معقبًا على الترمذي: «قلت: وحســنه في بعض النســخ، والأولــى أن يقال: حديث صحيح؛ لأن رجاله ثقات كلهم إلا أنه يخشــى من سوء حفظ ابن لهيعة، لكن قد رواه عنه عبد الله بن المبارك عند أبي الشيخ (٩٠)، وروايته عنه صحيحة كما هو معلوم..» وحسنه الأرنؤوط وزملاؤه في تحقيقهم للمسند (٢٩/ ٢٤٥).

بـــل لم تفارق الابتســـامة محيَّا النبي ﷺ حتى وهو فـــي مرض موته، ففي الصحيحين عن أَنَس بْن مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ يُصَلِّي لَهُمْ فِي وَجَعِ رَسُـــولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الِاثْنَيْنِ وَهُمْ صُفُوفٌ فِي الصَّلَاةِ كَشَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سِتْرَ الْحُجْرَةِ، فَنَظَرَ إِلَيْنَا وَهُوَ قَائِمٌ كَأَنَّ وَجْهَهُ وَرَقَةُ مُصْحَفٍ، ثُمَّ تَبَسَّـــمَ رَسُـــولُ اللَّهِ ﷺ ضَاحِكًا، قَالَ: فَبُهِتْنَا وَنَحْنُ فِي الصَّلَاةِ مِنْ فَرَحٍ بِخُرُوجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَنَكَصَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى عَقِبَيْهِ لِيَصِلَ الصَّـــفَّ، وَظَنَّ أَنَّ رَسُـــولَ اللَّهِ ﷺ خَارِجٌ لِلصَّلَاةِ، فَأَشَـــارَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّـــهِ ﷺ بِيَدِهِ أَنْ أَتِمُّـــوا صَلَاتَكُمْ، قَالَ: ثُمَّ دَخَلَ رَسُـــولُ اللَّهِ ﷺ فَأَرْخَى السِّتْرَ، قَالَ: فَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ يَوْمِهِ ذَلِكَ»[1].

رابعًا: الرضاء بالقضاء والقدر، والعمل والجـــد والمثابرة، والهدوء والطمأنينة. فالمؤمن المتفائل تجـــده دائمًا راضيًا بقضاء الله وقـــدره، ومحافظًا على طمأنينته وثباته وهدوئه، ورباطة جأشـــه وقوة عزيمته وإرادته، وذلك لأنه يعتقـــد أن كل مـــا قُـــدِّر فهو لـــه خير، كمـــا قَـــالَ ﷺ -فيمـــا يرويه عنه صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ! إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَـــرَّاءُ شَـــكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»[2].

فالرضا بالقضاء جنة الدنيا لما فيه من الاســـتقرار النفسي والطمأنينة مهما كانت الظروف والأزمات.

---

(١) متفـــق عليه، رواه البخاري في الأذان، باب أهل العلـــم والفضل أحق بالإمامة (ح: ٦٨٠). ومسلم في الصلاة، باب اســـتخلاف الإمام - إذا عرض له عذر من مرض وسفر وغيرهما - من يصلي بالناس...(ح: ٤١٩).

(٢) رواه مسلم في الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير (ح: ٢٩٩٩).

الفصل الثاني

صور من تفاؤله ﷺ في الأزمات والشدائد

المبحث الأوّل

تفاؤله ﷺ في الشدائد في حالات السِّلْمِ

النموذج الأول:

في الصحيحين عن عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- أَنَّهَا قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟

فَقَالَ: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمُ الْعَقَبَةِ[1] إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ[2]، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ -عَزَّ وَجَلَّ- قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ؛ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ.

قَالَ: فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ، وَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ

---

(١) موضع بمنى، وهي التي تنسب إليها جمرة العقبة. انظر: معجم البلدان (٤/ ١٣٤)، وعمدة القاري (١٥/ ١٤٢)، ومرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٩/ ٣٧٤٠).

(٢) أي: لم أوطن لنفسي وأتنبه لحالي وللموضع الذي أنا ذاهب إليه إلا وأنا عند (قرن الثعالب) لكثرة همي الذي كنت فيه. وقرن الثعالب هو: قرن المنازل، وهو ميقات أهل نجد، وهو على مرحلتين من مكة، وأصل القرن: كل جبل صغير ينقطع من جبل كبير.
انظر: شرح النووي على مسلم (١٢/ ١٥٥)، وتاج العروس (٢/ ٩٤).

قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ[1].

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»[2].

هذا الحديث يبين بوضوح وجلاء عظيم تفاؤله ﷺ، ورحابة صدره، وبُعد نظره، وكبير أمله بالله -سبحانه وتعالى- في إعزاز دينه وانتشاره، رغم شدة ما هو فيه ﷺ من كربٍ وضيقٍ وشعور بالألم النفسي في تلك اللحظات.

إن الانتقام للنفس والذات لا يعيش إلا في عقول الصغار، وأما الكبار والعظماء فيجل مقامهم أن يعيشوا لذواتهم، وإنما يعيشون لأفكارهم ومبادئهم، ولرحمة الناس ممن حولهم، ومع أن هؤلاء الكفار قد حاربوا النبي ﷺ، وأخرجوه ظلمًا وعدوانًا من مكة، وطردوه من الطائف، وعذبوا أصحابه، وفعلوا بهم الأفاعيل، وقتلوا بعضهم، ومع ذلك يريد أن يستأني بهم؛ لعلَّ الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده، تغليبًا لمصلحة الدعوة، وتغليبًا لجانب الفأل والأمل والرحمة، فالمشهد الذي يرسمه هذا الحديث لتفاؤل النبي ﷺ مشهد لا يوجد له وصف أو تعبير!

فإذا كان هذا تفاؤله في يوم كان أشد عليه من يوم أحد فكيف يكون تفاؤله في سائر أيامه؟!!

---

(١) المراد بالأخشبين: جبلا مكة، أبو قبيس، والذي يقابله: قعيقعان، وسميا بذلك لصلابتهما وغلظ حجارتهما، والمراد بإطباقهما: أن يلتقيا على من بمكة.
انظر: النهاية في غريب الحديث (٢/ ٣٢)، ومعجم الأماكن الجغرافية في السيرة النبوية لسعد الجنيدل (ص: ٢٠).

(٢) رواه البخاري في بدء الخلق، باب: إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه (ح: ٣٢٣١). ومسلم في الجهاد، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين (ح: ١٧٩٥).

وإنما كان هذا اليوم أشد من يوم أحد مع أن غزوة أحد استشهد فيها خيرة الصحابة وأسد الله وأسد رسوله حمزة بن عبد المطلب، لأن يوم الطائف جمع بين الإيذاء المعنوي والجسدي، وكان جانب المعنوي أشد وأغلب إلى درجة أنه ﷺ طلب من زعماء ثقيف أن يكتموا عن الناس أمره وما جرى بينه وبينهم، ولكنهم للؤمهم لم يفعلوا ذلك، بل زادوا الطين بلة بإغراء سفهائهم برشقه بالحجارة، والقصة بنصها كما ذكرها ابن عبد البر وغيره من أهل السير أنه: (لمَّا مات أَبُو طالب اشتدَّ البلاء على رسول الله ﷺ، فعمد لثقيف رجاء أن يُؤووه، فوجد ثلاثة نفر هم سادة ثقيف، وهم إخوةٌ: عَبْدُ يَالَيْلَ بْنُ عَمْرٍو، وَحَبِيبُ بْنُ عَمْرٍو، وَمَسْعُودُ بْن عَمْرٍو، فعرض عليهم نفسه، وأعلمهم بما لقي من قومه، فقال أحدهم: أنا أسرق ثياب الكعبة إن كان الله بعثك بشيء قط، وقال الآخر: أعجز الله أن يرسل غيرك؟ وقال الثالث: لا أكلمك بعد مجلسك هذا، لئن كنت رسول الله، لأنت أعظم حقًّا من أن أكلمك، ولئن كنت تكذب على الله لأنت شر من أن أكلمك، وهزئوا به، وأفشوا في قومهم ما راجعوه به، وأقعدوا له صفين، فلما مر رسول الله ﷺ بينهما جعلوا لا يرفع رِجلًا ولا يضع رِجلًا إلا رضخوها بحجارة قد كانوا أعدوها، حتى أدموا رجليه ﷺ، فخلص منهم وعمد إلى حائط من حوائطهم، فاستظل في ظل نخلة منه، وهو مكروب تسيل قدماه بالدماء..)[1].

ومع كل هذه الأذية فلم يعتزل الناس ﷺ ولم يحجم عن دعوته، أو يتردد عن مواصلة رسالته لحظة واحدة، بل قرر أن يدخل مكة ويستمر في الدعوة إلى الله مهما كانت الظروف والأهوال، ومهما كانت تبعات هذا القرار، فبعد أن أقام ﷺ بنخلة أيامًا عزم على دخول مكة، فقال له صاحبه زيد بن حارثة إشفاقًا عليه: (كيف تدخل عليهم وقد أخرجوك؟ يعني قريشًا؟!

(١) الدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبد البر (ص: ٦٦). وانظر: زاد المعاد، لابن القيم (٣/ ٣١)، والبداية والنهاية لابن كثير (٣/ ١٣٥).

فقال ﷺ: «يا زيد! إن الله سبحانه وتعالى جاعلٌ لما ترى فرَجًا ومخرجًا، وإن الله عز وجل ناصرٌ دينه، ومظهرٌ نبيه»[1].

وقد بلغت أذيتهم للنبي ﷺ وسوء معاملتهم معه إلى درجة أن أرسل الله ملك الجبال ليكون طوع بنان النبي ﷺ ورهن إشارته، يأمره بما شاء، وأعطى له الأمر في طريقة تعذيبهم وإهلاكهم، لكنه ﷺلم ينظر إلى المستقبل نظرة سوداوية، بل نظر إليه بنور الإيمان وبنظرة تفاؤلية، فهو لا يريد أن ينتقم لنفسه قط، بل كما قال ﷺ: «أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»؟![2] وفي هذا الجواب تتجلى شخصيته ﷺ الفذة، وما كان عليه من الخلق العظيم، وما وصفه به ربه بقوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾[3].

وبالفعل فأمنيته ﷺ لم يتأخر تحقيقها كثيرًا، بل سرعان ما تحققت بحسن تفاؤله ﷺ، وحسن ظنه بربه -سبحانه وتعالى- فقد أسلم بعض هؤلاء الكفار، بل منهم من أصبحوا قادة، وأخرج الله سبحانه وتعالى من أصلابهم الكثير من قادة المسلمين فيما بعد، وتمت على أيديهم فتوحات عظيمة للإسلام والمسلمين، وأسلم على يدهم آلاف مؤلفة، كل هذه الخيرات لَمَا كان لها أن تتم لولا الله ثم هذه النظرة

(١) رواه ابن سعد في الطبقات (١/ ٢١٢) قال: أخبرني محمد بن عمر الواقدي قال: حدثني عبد الرحمن بن عبد العزيز عن أبي الحويرث عن محمد بن جبير بن مطعم. وذكره ابن القيم في زاد المعاد (٣/ ٣٣)، والصالحي في سبل الهدى والرشاد (٢/ ٤٤٠).
محمد بن جبير بن مطعم النوفلي تابعي ثقة (التقريب، ص: ٨٣٢، ترجمة: ٥٨١٧)، فالحديث إذًا مرسل، والواقدي مع إمامته في التاريخ وسعة علمه متروك في الحديث. (التقريب، ص: ٨٨٢، ترجمة: ٦٢١٥) ومع هذا أرى أنه لا ضير في ذكره لأنه رواية تاريخية ليس له تعلق بالحلال والحرام.

(٢) تقدم تخريجه في هذا الفصل، بالمبحث الأول: صورٌ من تفاؤله ﷺ في الشدائد في حالات السِّلْم [النموذج الأول].

(٣) سورة الأنبياء: [١٠٧].

التفاؤلية المستقبلية للإسلام، وهذا التأني والتريث من هذا النبي الكريم صلوات ربي وسلامه عليه، وصدق الصحابي الجليل حسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذ يقول في وصف رسول الله ﷺ:

وأحسن منكَ لم تَرَ قَطُّ عيني ... وأجمل منك لم تلد النساءُ

خُلِقتَ مُبَرأً مِن كل عيبٍ ... كأنك قد خُلِقتَ كما تشاءُ[1]

بمثل هذا المنهج النبوي، وهذا الصبر والتفاؤل العجيب ينتشر الإسلام ويسود الأرض خاصة مع استمرار العمل وبذل الجهد في إيصال الخير للناس.

والحديث السابق يشبه إلى حدٍّ كبير حديث خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ عندما أتى هو وأصحابه من المستضعفين النبيَّ ﷺ شاكين ما يلقون من صنوف الأذى من المشركين، قَالَ خَبَّابُ بْنُ الأَرَتِّ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ - (وفي رواية: وقد لقينا من المشركين شدةً[2]) - قُلْنَا لَهُ: أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلاَ تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟ قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ[3]، لاَ يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»[4].

---

(١) ديوان حسان بن ثابت (ص: ٢١).

(٢) رواه البخاري في مناقب الأنصار، بَابُ ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة (ح: ٣٨٥٢).

(٣) يحتمل أن يريد صنعاء اليمن، وبينها وبين حضرموت من اليمن أيضًا مسافة بعيدة نحو خمسة أيام، ويحتمل أن يريد صنعاء الشام، والمسافة بينهما أبعد بكثير، والأول أقرب. انظر: فتح الباري (٦/ ٦١٩).

(٤) رواه البخاري في المناقب، بَابُ عَلاَمَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإِسْلاَمِ (ح: ٣٦١٢).

وصدق من قال: (تفاءلوا بالخير تجدوه)[1]، فَمَن حَسَّن ظَنَّهُ باللهِ، وأخذ بالأسباب حقق الله رجاءه وأمله، وقد حصل ما أخبرنا به ﷺ من تمام الدين وانتشار الأمر، وإنجاز الله ما وعد به نبيه ﷺ من ذلك، وعُدَّ من علامات نبوته[2]، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾[3] بل هذا هو مصداق الحديث القدسي الذي رواه الإمام أحمد من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «أَنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - قَالَ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي؛ إِنْ ظَنَّ بِي خَيْرًا فَلَهُ، وَإِنْ ظَنَّ شَرًّا فَلَهُ»[4].

---

(١) ليس بحديث مع شهرته في بعض البلاد! قال العلامة الألباني في (سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، ١٣/ ٨٢٩): «ولا أعرف له أصلًا».

(٢) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٨/ ٢٩٧). وشرح رياض الصالحين لابن عثيمين (١/ ٢٥٢).

(٣) سورة النور: [٥٥].

(٤) رواه أحمد (٢/ ٣٩١). وفي إسناده عبد الله بن لهيعة وهو ضعيف، كما في (التقريب، ترجمة: ٣٥٨٧): «صدوق من السابعة، خلط بعد احتراق كتبه». ورواه ابن حبان بسند صحيح في صحيحه (٦٣٩). وأخرجه أيضًا الطبراني في (الكبير، ٢٢/ ٨٧). وفي (الأوسط، ١/ ١٢٦). وابن حبان (ح: ٦٤١). من طريق محمد بن المهاجر عن يزيد بن عبيدة عن حيان أبي النضر قال: «خرجت عائدًا ليزيد بن الأسود، فلقيت واثلة بن الأسقع وهو يريد عيادته، فدخلنا عليه...فذكره.
وهذا إسناد صحيح، وأبو النضر وثقه ابن معين، وقال أبو حاتم: «صالح» انظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، ٣/ ٢٤٤). وذكره ابن حبان في (الثقات، ٤/ ١٧١) فقال: «حيان أبو النضر الأسدي من أهل الشام يروى عن واثلة بن الأسقع، روى عنه هشام بن الغاز». وقد صحح الحديث الألباني في (الصحيحة، ٤/ ٢٢٥)، والأرنؤوط وزملاؤه في تحقيقه لصحيح ابن حبان(٢/ ٤٠٥)، وانظر الحاشية التالية.

وأصل هذا الحديث ثابت في الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ سبحانه وتعالى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي..»[1] (أي: أنا أعامله على حسب ظنه بي، وأفعل به ما يتوقعه مني من خير أو شر، والمراد الحث على تغليب الرجاء على الخوف وحسن الظن بالله..)[2]، وخاصة عند المرض والشدائد والأزمات.

فالتفاؤل من باب حسن الظن بالله، فهو سبحانه بيده مقادير الأمور كلها، ونحن مأمورون أن نحسن الظن بالله سبحانه، فقد روى جَابِر بْن عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ يَقُولُ: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»[3].

وقال عبدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ مَا أُعْطِيَ عَبْدٌ مُؤْمِنٌ شَيْئًا خَيْرًا مِنْ حُسْنِ الظَّنِّ بِاللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-، وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ لَا يُحْسِنُ عَبْدٌ بِاللهِ -عزَّ وجلَّ- الظنَّ إِلَّا أَعْطَاهُ اللهُ ظَنَّهُ ذَلِكَ؛ فَإِنَّ الْخَيْرَ فِي يَدِهِ)[4].

وقد حذرنا الله سبحانه وتعالى من مغبة سوء الظن، وأخبر عن مصير الظانين بالله ظن السوء فقال: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾[5].

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري في التوحيد، بـاب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨]. (ح: ٧٤٠٥). ومسـلم في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحث على ذكر الله تعالى (ح: ٢٦٧٥).

(٢) تحفة الأحوذي، في شرح حديث (٢٣٨٨)، وانظر فتح الباري (١٣/ ٣٨٥ - ٣٨٦).

(٣) رواه مسلم، وسبق تخريجه في الفصل الأول، في المطلب الخامس: في سمات المتفائلين.

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في حسـن الظن بالله موقوفًا على ابن مسعود (رقم الأثر: ٨٣). وذكره الهيثمي في (المجمع، ١٠/ ١٤٨) مختصرًا، وقال: «رواه الطبراني موقوفًا، ورجاله رجال الصحيح إلا أن الأعمش لم يدرك ابن مسعود».

(٥) سورة فصلت: [٢٣].

ولهذا النموذج نظائر كثيرة في السنة تتجلى فيها رحمته ﷺ بالناس، وشفقته عليهم، وحرصه على هدايتهم، منها ما رواه الشيخان عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَدِمَ طُفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو الدَّوْسِيُّ وَأَصْحَابُهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ دَوْسًا عَصَتْ وَأَبَتْ، فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهَا، فقال الناس: هَلَكَتْ دَوْسٌ. وأما الرحمة المهداة فاستقبل القبلة ورفع يديه قائلًا: «اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأْتِ بِهِمْ»[1].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَأَلَ أَهْلُ مَكَّةَ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يَجْعَلَ لَهُمُ الصَّفَا ذَهَبًا، وَأَنْ يُنَحِّيَ الْجِبَالَ عَنْهُمْ فَيَزْدَرِعُوا.

فَقِيلَ لَهُ: إِنْ شِئْتَ أَنْ تَسْتَأْنِيَ بِهِمْ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تُؤْتِيَهُمُ الَّذِي سَأَلُوا، فَإِنْ كَفَرُوا أُهْلِكُوا كَمَا أَهْلَكْتُ مَنْ قَبْلَهُمْ.

قَالَ: «لَا بَلْ أَسْتَأْنِي بِهِمْ» فَأَنْزَلَ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- هَذِهِ الْآيَةَ[2]: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾[3].

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري في الجهاد والسير، باب الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم (ح: ٢٩٣٧). ومسلم في فضائل الصحابة، باب من فضائل غفار وأسلم وجهينة وأشجع ومزينة وتميم... (ح: ٢٥٢٤).

(٢) سورة الإسراء: [٥٩].

(٣) رواه أحمد (١/ ٢٥٨). والنسائي في (الكبرى، ح: ١١٢٢٦)، والبزار كما في (الكشف، ح: ٢٢٢٤). والطبري في تفسيره (١٥/ ٧٥)، والحاكم (٢/ ٣٦٢) وصححه ووافقه الذهبي. ورواه البيهقي في (السنن الكبرى، ٩/ ٨) وفي (الدلائل، ٢/ ٢٧١)، والواحدي في أسباب النزول (ص: ٢٨٨)، والضياء في المختارة (١٠/ ٧٩)، وذكره ابن كثير في (البداية والنهاية، ٣/ ٥٢). والسيوطي في (الدر المنثور، ٤/ ١٩٠) وعزاه إلى النسائي، وابن جرير وابن المنذر. والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي. والضياء في المختارة». وقال الهيثمي في (المجمع، ٧/ ٥٠) بعد أن ذكر هذه الرواية والتي تليها: «رجال الروايتين رجال الصحيح إلا أنه وقع في أحد طرقه عمران بن الحكم وهو وهم، وفي بعضها =

وفي روايةٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَتْ قُرَيْشٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ: ادْعُ لَنَا رَبَّكَ أَنْ يَجْعَلَ لَنَا الصَّفَا ذَهَبًا وَنُؤْمِنُ بِكَ، قَالَ: «وَتَفْعَلُونَ؟» قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: فَدَعَا، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: إِنَّ رَبَّكَ عز وجل يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ: إِنْ شِئْتَ أَصْبَحَ لَهُمُ الصَّفَا ذَهَبًا، فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْهُمْ عَذَّبْتُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، وَإِنْ شِئْتَ فَتَحْتُ لَهُمْ بَابَ التَّوْبَةِ وَالرَّحْمَةِ. قَالَ: «بَلْ بَابُ التَّوْبَةِ وَالرَّحْمَةِ»[1].

لقد كان منهجه ﷺ مع قومه الرحمة بهم، وحب الخير لهم، وتفاؤله بإسلامهم رغم شركهم، وعنادهم، وتكبرهم عليه، وشدة الأذى والتربص به، لكنها أخلاق الكبار: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾[2].

وإنَّ الـــذي بَيْنِي وبَيْـــنَ بَنِي أبي ... وبَيْنَ بـــني عَمِّي لمُخْتَلِـفٌ جِدًّا

فما أحْمِل الحقـــد القديم عليهمُ ... وليس رئيس القوم من يحمل الحِقدا

وليســـوا إلى نَصْري سِرَاعًا وإنْ همُ ... دعَـــوْني إلى نَصْـــرٍ أتيتهمُ شَدًّا

فإن أكلوا لَحْمِـــي وفرْتُ لحومَهم ... وإنْ هَدمُوا مَجْدِي بنيتُ لهم مَجْدا[3]

= عمران أبو الحكم. وهو ابن الحارث وهو الصحيح وهو من رجال الصحيح». وجود سنده ابن كثيـــر في البداية والنهاية (٤/ ١٣١)، وصححه أحمد شـــاكر في تعليقه على المســـند (٢٣٣٣)، والألباني في الصحيحة (٧/ ١١٦٠)، والأرنؤوط وزملاؤه في تحقيقهم للمسند (٢/ ٢٧٣).

(١) رواه أحمـــد (١/ ٢٤٢). الحديث صحيح، ورجال إســـناده رجال الشـــيخين غير عمران أبي الحكم عمران بن الحارث الســـلمي فمن رجال مســـلم (التقريب، ترجمة: ٥١٨٢)، وجود ســـنده ابن كثير فـــي البداية والنهاية (٤/ ١٣١)، وصححه أحمد شـــاكر في تحقيقه للمسند (ح: ٢١٦٦)، والألباني في الصحيحة(٣٣٨٨).

(٢) [فصلت: ٣٤].

(٣) الأبيات للمقنع الكندي، انظر: الأغاني (١٧/ ١١١).

النموذج الثاني: من تفاؤله ﷺ في السلم:

تغييره ﷺ للأسماء القبيحة إلى الحسنة كتسميته ﷺ مهجره: (يثرب) بـ(طابة، وطَيْبَة)، وكره أن ينادي باسمها الجاهلي (يثرب) لما يتضمن من معنى فاسد، فقد روى الشيخان من حديث أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أُمِرْتُ بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ الْقُرَى[1]، يَقُولُونَ: (يَثْرِبَ) وَهِيَ: (الْمَدِينَةُ)، تَنْفِي النَّاسَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ»[2].

قال النووي: (وَأَمَّا (يَثْرِب) فَهُوَ اسْمهَا فِي الْجَاهِلِيَّة، فَسَمَّاهَا اللَّه سبحانه وتعالى الْمَدِينَة، وَسَمَّاهَا رَسُول اللَّه طَيْبَة وَطَابَة)[3].

قال ابن حجر: (قَوْله: (يَقُولُونَ يَثْرِب وَهِيَ الْمَدِينَة) أَيْ: إِنَّ بَعْض الْمُنَافِقِينَ يُسَمِّيهَا يَثْرِب، وَاسْمُهَا الَّذِي يَلِيق بِهَا: (الْمَدِينَةُ).

وَفَهِمَ بَعْض الْعُلَمَاء مِنْ هَذَا كَرَاهَة تَسْمِيَة الْمَدِينَة يَثْرِب وَقَالُوا: مَا وَقَعَ فِي الْقُرْآن إِنَّمَا هُوَ حِكَايَة عَنْ قَوْل غَيْر الْمُؤْمِنِينَ)[4].

وعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ -تعالى- سَمَّى الْمَدِينَةَ طَابَةَ»[5].

وعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّهَا طَيْبَةُ -يَعْنِي الْمَدِينَةَ- وَإِنَّهَا

---

(١) قولـه: (تأكل القرى) أي تسـاق إليها غنائـم القرى، أو لأنها منها فتحـت القرى وغنمت أموالها. (انظر: فتح الباري، ١/ ٨٠).

(٢) متفق عليـه، رواه البخاري فـي فضائل المدينة، بـاب فضل المدينة، وأنهـا تنفي الناس (ح: ١٨٧١). ومسلم في الحج، باب المدينة تنفي خبثها وتسمى طابة وطيبة (ح: ١٣٨٢).

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي (٨/ ٣٧).

(٤) فتح الباري (٤/ ٨٧).

(٥) رواه مسلم في الحج، باب المدينة تنفي خبثها، وتسمى طابة وطيبة (ح: ١٣٨٤).

تَنْفِي الْخَبَثَ كَمَا تَنْفِي النَّارُ خَبَثَ الْفِضَّةِ»[1].

وقَالَ بعض العلماء: (من سمَّى المدينة يثرب كتبت عليه خطيئة. قال: وسبب هذه الكراهة لأن يثرب إما من التثريب الذي هو التوبيخ والملامة، أو من الثرب وهو الفساد، وكلاهما مستقبح، وكان ﷺ يحب الاسم الحسن ويكره الاسم القبيح)[2].

ومما حصل من التفاؤل في قصة الهجرة ما جاء عنه ﷺ أنَّه أول ما قدم المدينة، ووصل إليها «نَزَلَ فِي عُلْوِ الْمَدِينَةِ، فِي حَيٍّ يُقَالُ لَهُمْ: بَنُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، فَأَقَامَ فِيهِمْ أَرْبَعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً...» [3]، فتفاءل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بهذا النزول بعلو دعوته، وإظهار دينه، قال ابن حجر: (وأخذ من نزول النبي ﷺ التفاؤل له ولدينه بالعلو)[4].

ومن تغييره ﷺ الأسماء التي فيها معنى قبيح إلى أسماء حسنة ما رواه البخاري عَنِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِجَدِّهِ -جَدِّ سَعِيدٍ-: «مَا اسْمُكَ؟» قَالَ: حَزْنٌ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بَلْ أَنْتَ سَهْلٌ» فَقَالَ: لَا أُغَيِّرُ اسْمًا سَمَّانِيهِ أَبِي. قَالَ ابْنُ الْمُسَيَّبِ: فَمَا زَالَتْ فِينَا حُزُونَةٌ بَعْدُ[5].

قَالَ أَبُو دَاوُدَ -بعد أن روى الحديث السابق-: «وغير النبيُّ ﷺ اسم العاص،

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري في التفسير، باب ﴿فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ﴾. (ح: ٤٥٨٩)، ومسلمٌ في الحج، باب المدينة تنفي خبثها، وتسمى طابة وطيبة (ح: ١٣٨٤).

(٢) فتح الباري لابن حجر (٤/ ٨٧). وقد نقل الحافظ هذا القول عن: عيسى بن دينار من المالكية.

(٣) متفق عليه، رواه البخاري في الصلاة، باب: هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد (ح: ٤٢٨). ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة، باب المساجد ومواضع الصلاة (ح: ٥٢٤).

(٤) فتح الباري لابن حجر (٧/ ٢٦٦).

(٥) سبق تخريجه في الفصل الأول، المبحث الرابع: فوائد التفاؤل.

وعزيز، وعتلة، وشيطان، والحكم، وغراب، وحباب، وشهاب، فسماه هشاما، وسمى حربًا: سلمًا، وسمى المضطجع: المنبعث، وأرضا تسمى عفرة سماها: خضرة، وشعب الضلالة، سماه: شعب الهدى، وبنو الزنية، سماهم: بني الرشدة، وسمى بني مغوية: بني رشدة» ثم قال أبو داود: «تركت أسانيدها للاختصار»[1].

ومن ذلك ما رواه مسلمٌ في صحيحه؛ عَنِ ابْنِ عُمَرَ: «أَنَّ ابْنَةً لِعُمَرَ كَانَتْ يُقَالُ لَهَا عَاصِيَةُ فَسَمَّاهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ جَمِيلَةَ»[2].

وفيه -أيضًا- أنه ﷺ قال: «وَلَا تُسَمِّيَنَّ غُلَامَكَ يَسَارًا، وَلَا رَبَاحًا، وَلَا نَجِيحًا، وَلَا أَفْلَحَ، فَإِنَّكَ تَقُولُ: أَثَمَّ هُوَ؟ فَلَا يَكُونُ فَيَقُولُ: لَا»[3].

قال الطحاوي: (ففي ذلك -أي: الحديث- ما قد دلَّ على أن النهيَّ عن هذه الأسماء إنَّما كان خوف الطيرة بها، كما نُهِيَ أن يوردَ ممرضٌ على مصحٍّ فيصيبه ما أصاب الممرض. فيقال: أصابه؛ لأنه أورد عليه)[4].

وقال البغوي في معنى الحديث: (معنى هذا أن الناس إنما يقصدون بهذه الأسماء التفاؤل بحسن ألفاظها ومعانيها، وربما ينقلب عليهم ما قصدوه إلى الضد إذا سألوا وقالوا: أثم يسار أو نجيح، فقيل: لا، فتطيروا بنفيه، وأضمروا الإياس من اليسر والنجاح، فنهاهم عن السبب الذي يجلب سوء الظن، والإياس من الخير.

قال حميد بن زنجويه: فإذا ابتلي رجل في نفسه أو أهله ببعض هذه الأسماء،

---

(١) سنن أبي داود (٤/ ٢٨٩) بعد حديث رقمه (٤٩٥٦).

(٢) رواه مسلم في الآداب، باب استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن، وتغيير اسم برة إلى زينب وجويرية ونحوهما (ح: ٢١٣٩).

(٣) رواه مسلم في الآداب، بَابُ اسْتِحْبَابِ تَغْيِيرِ الِاسْمِ الْقَبِيحِ إِلَى حَسَنٍ، وَتَغْيِيرِ اسْمِ بَرَّةَ إِلَى زَيْنَبَ وَجُوَيْرِيَةَ وَنَحْوِهِمَا (ح: ٢١٣٧) من حديث سمرة بن جندب.

(٤) شرح مشكل الآثار (٤/ ٤٤٣).

فليحوله إلى غيره، فإن لم يفعل، فقيل: أثم يسار، أثم بركة، فإن من الأدب أن يقال: كل ما ههنا يسر وبركة والحمد لله، ويوشك أن يأتي الذي تريد، ولا يقال: ليس ههنا، ولا خرج.

ومما لا يحسن من الأسماء إن سئل عنه أن يقال: ليس ههنا أو خرج، كل اسم عبد وحامد ومسلم ومبارك وميمون.

ومن أسماء النساء: سلامة وعافية وميمونة وما أشبهها، ولكن يقول: كلنا عبيد الله وحامدون ومسلمون ومباركون وميمونون، وقد خرج صاحبك، وكل ما ههنا عافية وسلامة وكلهن ميمونات)[1].

النموذج الثالث: من تفاؤله ﷺ في السلم:

من تفاؤله ﷺ في الأزمات؛ تفاؤله باسم ممثل الكفار في قصة صلح الحديبية، مع أن الرجل كان كافرًا ورسولًا من قبل لكفار وممثلهم في المفاوضات، ومع كل هذا تفاءل باسمه حينما رأى سهيل بن عمرو قادمًا فقال: «لَقَدْ سَهُلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ»[2].

(١) شرح السنة للبغوي (١٢/ ٣٣٨- ٣٣٩)، وانظر: معالم السنن للخطابي (٤/ ١٢٨).

(٢) رواه البخاري في الشروط، بَاب الشُّرُوطِ فِي الْجِهَادِ وَالْمُصَالَحَةِ مَعَ أَهْلِ الْحَرْبِ وَكِتَابَةِ الشُّرُوطِ (ح: ٢٧٣١؛ ٢٧٣٢). طرف من حديث طويل للمسور بن مخرمة، ومروان بن الحكم، إلا إن هذا الجزء من الحديث؛ قال الحافظ في الفتح (٥/ ٣٤٢): «مرسل ولم أقف على من وصله بذكر ابن عباس فيه، لكن له شاهد موصول عن ابن أبي شيبة من حديث سلمة بن الأكوع. قال: بعثت قريش سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى إلى النبي ﷺ ليصالحوه، فلما رأى النبي ﷺ سهيلًا؛ قال: «قد سهل لكم في أمركم»، وللطبراني نحوه في حديث عبد الله بن السائب» قال الألباني في هامش مختصر صحيح البخاري (٢/ ٢٣٤)، وحديث سلمة في مصنف ابن أبي شيبة (١٤/ ٤٤٠) رجاله ثقات غير مولى ابن عبيدة، وهو ضعيف، وفي إسناد الطبراني مؤمل بن وهب المخزومي، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ١٤٦): «تفرد عنه ابنه عبد الله، وقد وثق، وبقية رجاله رجال الصحيح»، وأقول: عبد الله بن المؤمل ضعيف، وأبوه مجهول.

وقال ﷺ -كما عند أحمد-: «قَدْ أَرَادَ الْقَوْمُ الصُّلْحَ حِينَ بَعَثُوا هَذَا الرَّجُلَ»[1].

النموذج الرابع: من تفاؤله ﷺ في السلم:

من تفاؤله ﷺ في الشدة -والجدب شدة وعسر- تفاؤله ﷺ بتحويل الرداء في صلاة الاستسقاء، رجاء أن يحول الله حالهم من العسر إلى اليسر، ومن القحط إلى نزول الغيث، فعَنْ عَبد الله بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ يَسْتَسْقِي فَتَوَجَّهَ إِلَى الْقِبْلَةِ يَدْعُو، وَحَوَّلَ رِدَاءَهُ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ جَهَرَ فِيهِمَا بِالْقِرَاءَةِ»[2].

قال ابن بطال: (قال المهلب: وتحويل الرداء إنما هو على وجه التفاؤل بتحويل الحال عما هي عليه، والله أعلم، ألا ترى أن النبي ﷺ كان يعجبه الفأل الحسن إذا سمع من القول، فكيف من الفعل؟ وفيه: دليل على استعمال الفأل من الأمور، وإن لم يقع بالموافقة ووقع استعمالًا)[3].

وقال الزيلعي: (ذكر العلماء أن تحويل الرداء من النبي ﷺ كان تفاؤلًا؛ لأنه انتقال من هيئة إلى هيئة، وتحول من شيء إلى شيء؛ ليكون ذلك علامة لانتقالهم من الجدب إلى الخصب، وتحولهم من الشدة إلى الرخاء)[4].

وقال النووي: (والتحويل شرع تفاؤلًا بتغير الحال من القحط إلى نزول الغيث

---

(١) جزء من حديث المسور ومروان السابق من طريق محمد بن إسحاق. رواه أحمد (٤/ ٣٢٣). وسنده حسن؛ لأن فيه ابن إسحاق، وهو صدوق يدلس كما قال الحافظ في (التقريب، ترجمة: ٥٧٦١) وقد عنعن إلا أنه صرح بالتحديث في بعض فقرات هذا الحديث؛ فانتفت شبهة تدليسه. ثم إنه قد توبع كما في المسند (٤/ ٣٢٨، و٣٣٢).

(٢) متفق عليه، رواه البخاري في الاستسقاء، باب الجهر بالقراءة في الاستسقاء (ح: ١٠٢٤). ومسلم في الاستسقاء، باب كتاب صلاة الاستسقاء (ح: ٨٩٤).

(٣) شرح صحيح البخارى لابن بطال (٣/ ١٠).

(٤) نصب الراية (٢/ ٢٤٣).

والخصب، ومن ضيق الحال إلى سعته)[1]. وقد جاء ذلك مصرحًا به في حديث جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «اسْتَسْقَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَحَوَّلَ رِدَاءَهُ لِيَتَحَوَّلَ الْقَحْطُ»[2].

النموذج الخامس: من تفاؤله ﷺ في السلم:

لم يكتف -بأبي هو وأمي ﷺ- أن يكون متفائلًا في الأزمات والشدائد بنفسه، بل أمر ﷺ أمته أن يكونوا متفائلين حتى عند قيام أزمة الأزمات، والطامة الكبرى، عند الساعة، ففي مسند أحمد وغيره من حديث أنس بن مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ قَامَتْ السَّاعَةُ؛ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ[3]؛ فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَلَّا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ»[4].

---

(١) شرح مسلم للنووي (٣/ ٤٥٦).

(٢) رواه والحاكم (١/ ٣٢٦)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» وقال الذهبي في التلخيص: «غريب عجيب صحيح» والبيهقي في (الكبرى، ٣/ ٣٥١). من حديث جابر.
ورجاله لا بأس بهم، وشيخ الحاكم (أبو جعفر عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم بن المنصور) ترجم له الخطيب في (تاريخ بغداد، ٩/ ٤١٠). والذهبي في (السير، ١٥/ ٥٥١) فقال: «الشيخ الإمام الشريف المعمر، شيخ بني هاشم..، وثقه الخطيب». وأما شيخ شيخه (محمد بن يوسف بن عيسى بن الطباع) كذلك ترجم له الذهبي في (السير، ١٣/ ١٦٠) وقال: «وثقه الخطيب، وقال الدارقطني: صدوق». ويشهد للحديث حديث عبد الله بن زيد السابق.
ورواه الدارقطني في سننه (٢/ ٦٦) قال: حدثنا محمد بن أحمد بن أبي الثلج، ثنا جدي، ثنا إسحاق الطباع، عن حفص بن غياث، عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: استسقى رسول الله... مرسلًا. ورجاله لا بأس بهم غير شيخ الدار قطني وشيخ شيخه لم أجد لهم ترجمة.

(٣) هي النخلة الصغيرة تُقطع من الأم أو تُقلع من الأرض فتُغرس. (المعجم الوسيط، ص: ٦٨٩).

(٤) رواه أحمد (٣/ ١٨٤، ١٩١). حديث صحيح على شرط مسلم، ورجال رجال الصحيحين =

سبحان الله وما من مرة أتذكر هذا الحديث إلا ويبدو لي منه فوائد جديدة، وفائدة الفوائد هو بث التفاؤل، وزرع الأمل، فغرض المسلم من الغرس لا يقف عند قطف الثمار المادي فقط، بل يتجاوز ذلك، ألا يكفيه أن يكسب الأجر على نيته في غرسها، ونيّة إرادة النفع للنفس وللغير، ولو لم ير الثمرة، أو يحصد النتيجة.

ويبدو لي أنه ﷺ أراد أن يوصل رسالة سامية لكل مسلم من خلال الحديث، ومفادها أن على المؤمن ألا يفقد الفأل في أحواله كلها حتى عند لحظات قيام الساعة، فسيكون بعدها حياة أخرى لا تفنى.

= إلا حماد بن سلمة بن دينار، فإنه من رجال مسلم، وأخرج له البخاري معلقًا (انظر: تهذيب الكمال، ٧/ ٢٥٣).

وأخرجه أيضًا الطيالسي في مسنده (ح:٢١٨١). والبخاري في الأدب المفرد، باب اصطناع المال (ح: ٤٧٨). والبزار كما في (كشف الأستار ح:١٢٥١). وابن الأعرابي في معجمه (ح:١٨٠). وأورده الهيثمي في (المجمع ٤/ ٦٣) مختصرًا وقال: «رواه البزار ورجاله أثبات ثقات». وقال الألباني في الصحيحة (ح: ٩): «سنده صحيح على شرط مسلم»، وكذا قال الأرنؤوط وزملاؤه في تحقيقهم للمسند (٢٠/ ٢٥١).

المبحث الثاني

نماذج من تفاؤله ﷺ في غزواته وحروبه

إذا كانت النماذج السابقة قد حصلت في حالات سلمه ﷺ حيث لا توجد حرب ولا قتال ولا ضرب.

لكنها غرسٌ لمنهج وبذرٌ لتربية نفس المسلم وشخصيته على الفأل في شأنه كله، وفي حربه وسلمه، ومن لم يكن في السلم كذلك فلن يكون في الحرب والأزمة والشدة كذلك.

فلنأخذ أمثلة لتفاؤله ﷺ الكبير وصبره العظيم وتحمله العجيب، وبُعد نظره؛ من ميدان الوغى، وساحات المعركة والقتال، حيث تبرق السيوف وتلمع، وتتوتر الأعصاب فيها وتتشنج، وتُفقد رباطة جأش الكثير من الناس ممن يوصفون بأنهم قادة شجعان فضلًا عن غيرهم.

النموذج الأول: من تفاؤله ﷺ في غزواته:

في غزوة الأحزاب تجمعت جحافل الكفر، وتحزب عساكر الشيطان لغزو المسلمين، وتكالبت العرب واجتمعت كلمتهم لاستباحة بيضة الإسلام، وإبادة خضراء المسلمين، واستئصال شأفتهم، فقلبوا لهم ظهر المجن، ورموهم عن قوس واحدة!! وعاش النبي ﷺ وأصحابه لحظات جدّ عصيبة جدًّا، وظروفًا بالغة الصعوبة

والتعقيد يعجز البيان عن تصويرها، حيث اجتمعت عليه الشدائد كلها، وبدأت تضيق عليه حلقات الخناق، وحوصر الرسول والصحب الكرام من كل اتجاه:

أولًا: تجمع الأحزاب من كل مكان، قريش، وغطفان، وبنو أسد، وبنو سليم، وبنو مرة؛ ومن اليهود -أيضًا- بنو قريظة، وبنو النضير، تجمعت هذه الأعداد، وضُرب حصار محكم منها على المدينة.

ثانيًا: غدر اليهود وخيانتهم ونقضهم للعهد في المدينة، ونقف على مدى خطورة هذا الغدر إذا ما عرفنا موقع ديارهم في العوالي، الواقعة إلى الجنوب الشرقي من المدينة على وادي مهزور[1]، وأنه بإمكانهم تسديد ضربة غادرة للمسلمين من الخلف.

ثالثًا: مكائد المنافقين وتسللهم لواذًا متعللين بالأكاذيب، وتثبيطهم للنفوس، وبثهم للرعب والفزع للقلوب المريضة، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾[2].

ويقول المنافق مُعَتِّب بن قشير: (كان محمدٌ يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط)[3].

رابعًا: زاد الموقفَ حرجًا الجوعُ المقعد، وفقدان الزاد، وحفر الخندق في أجواء

---

(١) انظر: الاستذكار (٧/ ١٨٩)، ومعجم ما استعجم (٤/ ١٢٧٥)، ومعجم البلدان (٥/ ٢٣٤).

(٢) سورة الأحزاب: [١٢].

(٣) ذكره ابن إسحاق (سيرة ابن هشام، ٣/ ٢٢٢). وعنه الطبري في التفسير (٢١/ ٨٣).
وأخرج عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٣٤) نحوه بسنده الصحيح؛ عن قتادة في قوله تعالى: ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾ قال ناس من المنافقين: «أيعدنا محمدٌ أنَّا نفتح قصور الشام وفارس وأحدنا لا يستطيع أن يجاوز رحله، ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا». (التفسير الصحيح، للأستاذ الدكتور حكمت بشير، ٤/ ١١٧).

عصيبة، ريح هوجاء، وبرد شديد.

خامسًا: الخوف على النساء والعجزة والأطفال وهم في آطام المدينة، والسعي في حمايتهم بعد غدر اليهود من ورائهم.

سادسًا: قلة العَدَد والعُدَد، والسلاح والعتاد أمام تجمع الأحزاب وقوتهم وكثرة عتادهم.

كل هذه الظروف تجمعت على المسلمين في تلك اللحظات بالغة التعقيد والصعوبة والحرج، وأصبح المسلمون في ضيق وشدة وبلاء وكرب عظيم، ولن نجد تصويرًا لحالهم أدق من تصوير القرآن الكريم، قال سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝٩ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ۝١٠ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝١١ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ۝١٢ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ۛ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۛ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ۝١٣ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلْفِتْنَةَ لَأَتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ۝١٤ وَلَقَدْ كَانُواْ عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ۝١٥ ﴾[1].

حقًّا إنها صورة الهول الذي روَّع المدينة، والكرب الذي حلّ بها، والذي لم ينج منه أحد من أهلها، فكان ليلهم بالخندق نهارًا، وكان المشركون يتناوبون بينهم.. حتى عظم البلاء، وخاف الناس خوفًا شديدًا. إلا أن النبي ﷺ وصحابته وهم وسط هذه الظروف الصعبة العصيبة، والشدائد والمصائب تفاءلوا بالخير، وأظهروا صبرًا

(١) سورة الأحزاب: [٩ - ١٥].

لا مثيل له، وجلدًا وتفانيًا عجيبين، وكانت معنوياتهم عالية جدًّا، فقالوا كما حكى القرآن: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾[1]، وكأن لسان حالهم يردد قول الشاعر:

وَكُلُّ الْحَادِثَـاتِ إِذَا تَنَاهَـتْ ... فَـمَوْصُولٌ بِـهَا فَـرَجٌ قَرِيبُ[2]

فأخذوا بزمام المبادرة يحدوهم الفرج القريب.. وقاموا ببذل المستطاع، فتفاءلوا وتفاعلوا، واجتمعوا وتعاونوا، وفكروا وتشاوروا، وتناصحوا وتكاتفوا، وكانت النتيجة أن فتح الله على سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بفكرة عظيمة، بضرب خندق بينهم وبين عدوهم[3].

وأما عجب العجاب - وهو محل الشاهد - ما حصل من تفاؤل النبي ﷺ واستبشاره الخير كما روى الإمام أحمد في مسنده وغيره من حديث الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحَفْرِ الْخَنْدَقِ، قَالَ: وَعَرَضَ لَنَا صَخْرَةٌ فِي مَكَانٍ مِنَ الخَنْدَقِ لَا تَأْخُذُ فِيهَا الْمَعَاوِلُ، قَالَ: فَشَكَوْهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ عَوْفٌ: وَأَحْسِبُهُ قَالَ: وَضَعَ ثَوْبَهُ ثُمَّ هَبَطَ إِلَى الصَّخْرَةِ، فَأَخَذَ الْمِعْوَلَ فَقَالَ: «بِسْمِ اللَّهِ» فَضَرَبَ ضَرْبَةً فَكَسَرَ ثُلُثَ الْحَجَرِ وَقَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الشَّامِ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ قُصُورَهَا الْحُمْرَ مِنْ مَكَانِي هَذَا» ثُمَّ قَالَ: «بِسْمِ اللَّهِ» وَضَرَبَ أُخْرَى فَكَسَرَ ثُلُثَ الْحَجَرِ فَقَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ فَارِسَ، وَاللَّهِ

(١) سورة الأحزاب: [٢٢].

(٢) انظر: الفرج بعد الشدة لابن أبي الدنيا (ص: ٨١)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٤١/ ٢٤٦)، وتفسير ابن كثير (٨/ ٤٥٤) وقد نسبه المرجعان الأخيران إلى أبي حاتم السجستاني.

(٣) ذكره الواقدي في مغازيه (٢/ ٤٤٥) بأسانيد إلى مشايخه، وفيهم أبو معشر، وهو نَجيح بن عبد الرحمن السندي، وهو ضعيف كما في (التقريب، ترجمة: ٧١٥٠)، وفيهم الثقات والضعفاء. ورواه ابن سعد (٢/ ٦٦) معلقًا، وذكره ابن حجر في (الفتح، ٧/ ٣٩٢-٣٩٣) من رواية أبي معشر معلقًا أيضًا.

إِنِّي لَأُبْصِرُ الْمَدَائِنَ، وَأُبْصِرُ قَصْرَهَا الْأَبْيَضَ مِنْ مَكَانِي هَذَا» ثُمَّ قَالَ: «بِسْمِ اللَّهِ» وَضَرَبَ ضَرْبَةً أُخْرَى فَقَلَعَ بَقِيَّةَ الْحَجَرِ فَقَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الْيَمَنِ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ أَبْوَابَ صَنْعَاءَ مِنْ مَكَانِي هَذَا»[1].

وأصل القصة في صحيح البخاري عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «إِنَّا يَوْمَ الخَنْدَقِ نَحْفِرُ، فَعَرَضَتْ كُدْيَةٌ شَدِيدَةٌ، فَجَاءُوا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا: هَذِهِ كُدْيَةٌ عَرَضَتْ فِي الخَنْدَقِ، فَقَالَ: «أَنَا نَازِلٌ». ثُمَّ قَامَ وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ، وَلَبِثْنَا ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ لاَ نَذُوقُ ذَوَاقًا، فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ المِعْوَلَ فَضَرَبَ، فَعَادَ كَثِيبًا أَهْيَلَ، أَوْ أَهْيَمَ...»[2].

---

(١) رواه أحمد (٤/ ٣٠٣). والنسائي في (الكبرى، ٥/ ٢٦٩-٢٧٠ ح: ٨٨٥٨)، وابن أبي شيبة بالمصنف (٧/ ٣٧٨، ح: ٣٦٨٢٠). والروياني (١/ ٢٧٦، ح: ٤١٠). وأبو يعلى (٣/ ٢٤٤، ح: ١٦٨٥). والخطيب في (تاريخ بغداد، ١/ ١٣١-١٣٢). وأبو نعيم في (الدلائل، ح٤٣٠). والبيهقي في (الدلائل، (٣/ ٤٢١). وذكره ابن كثير في (السيرة، ٣/ ١٩٥) وقال: «وهذا حديث غريب أيضًا تفرد به ميمون بن أستاذ».

ورجال سنده ثقات إلا ميمون أبو عبد الله البصري، -وقيل اسم أبيه: أستاذ- ضعيف كما في (التقريب، ترجمة: ٧١٠٠). وقال أحمد كما في (الكاشف، ٢/ ٣١٢): أحاديثه مناكير. وقال ابن كثير في (السيرة، ٣/ ١٩٥): «وهذا حديث غريب أيضًا تفرد به ميمون بن أستاذ هذا، وهو بصري روى عن البراء وعبد الله بن عمرو... قال أبو حاتم عن إسحاق بن منصور عن ابن معين: كان ثقة. وقال علي بن المديني: كان يحيى بن سعيد القطان لا يحدث عنه.

وقال الهيثمي في (المجمع، ٦/ ١٣١): «..فيه ميمون أبو عبد الله وثقه ابن حبان، وضعفه جماعة، وبقية رجاله ثقات».

وقد صحح الحديث القاضي عبد الحق كما ذكر القرطبي في تفسيره (١٤/ ١١٩)، وابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ١٨١). وحسن إسناده الحافظ في الفتح (٧/ ٣٩٧). وله شاهد من حديث ابن عباس رواه الطبراني، انظر: الحاشية ما بعد التالية.

(٢) رواه البخاري - واللفظ له - في المغازي، باب غزوة الخندق؛ وهي الأحزاب (ح: ٤١٠١).

وروى الطبراني من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: احْتَفَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْخَنْدَقَ وَأَصْحَابُهُ قَدْ شَدُّوا الْحِجَارَةَ عَلَى بُطُونِهِمْ مِنَ الْجُوعِ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ، قَالَ: «هَلْ دُلِلْتُمْ عَلَى رَجُلٍ يُطْعِمُنَا أَكَلَةً؟» - إلى أن قال:- ثُمَّ تَمَشَّوْا إِلَى الْخَنْدَقِ، فَقَالَ: «اذْهَبُوا بنا إِلَى سَلْمَانَ» فَإِذَا صَخْرَةٌ بَيْنَ يَدَيْهِ قَدْ ضَعُفَ عَنْهَا، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ لأَصْحَابِهِ: «دَعُونِي فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ ضَرَبَهَا»، فَقَالَ: «بِسْمِ اللَّهِ» فَضَرَبَهَا فَوَقَعَتْ فِلْقَةٌ ثُلُثُهَا، فَقَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ قُصُورُ الرُّومِ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، ثُمَّ ضَرَبَ بِأُخْرَى فَوَقَعَتْ فِلْقَةٌ، فَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ قُصُورُ فَارِسَ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، فَقَالَ عِنْدَهَا الْمُنَافِقُونَ: نَحْنُ نُخَنْدِقُ عَلَى أَنْفُسِنَا وَهُوَ يَعِدُنا قُصُورَ فَارِسٍ وَالرُّومِ»[1].

وهل رأيتم تفاؤلًا أعظم من هذا، فيبشر أصحابه وهم في حالة وأزمة تخلع القلوب، لكنه المنهج النبوي في التفاؤل وحسن الظن بالله في الشدائد والأزمات والمرتبط بالعمل وبذل الجهد المستطاع، إنه درسٌ بليغٌ لكل مسلم.

النموذج الثاني: من تفاؤله ﷺ في غزواته:

كان هناك تفاؤل آخر للنبي ﷺ في هذه الغزوة، فعندما رأى جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ما برسول الله ﷺ من شدة الجوع حيث لم يذق هو وأصحابه ذواقًا ثلاثة أيام متتالية، وقد كان ﷺ بطنه الشريف معصوبًا بحجر من الجوع، استأذن النبيَّ ﷺ وهرع إلى أهله وأعد طعيِّمًا قليلًا لرسول الله ﷺ، ورجع إليه وسارره بأنه أعدَّ له (طعيِّمًا) وهكذا بصيغة التصغير مبالغة في قلته. والتمس منه أن يأتيه هو ورجل أو رجلان من أصحابه فقط، لأن الطعام قليل جدًّا ولا يكفيهم كلهم، فما كان من

(١) رواه الطبراني في (المعجم الكبير، ١١/ ٣٧٦ - ٣٧٧). والحديث صحيح، قال الهيثمي في (المجمع، ٦/ ١٣٢): «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن أحمد بن حنبل ونعيم العنبري وهما ثقتان».

النبي ﷺ إلا أن تفاءل وسمى هذا الطعيم بـ(كَثِيرٍ طَيِّبٍ) ونادى بأصحابه قائلًا: «يَا أَهْلَ الْخَنْدَقِ إِنَّ جَابِرًا قَدْ صَنَعَ لَكُمْ سُورًا فَحَيَّ هَلًا بِكُمْ»، والحديث في الصحيحين عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (إِنَّا يَوْمَ الْخَنْدَقِ نَحْفِرُ فَعَرَضَتْ كُدْيَةٌ شَدِيدَةٌ؛ فَجَاءُوا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا: هَذِهِ كُدْيَةٌ عَرَضَتْ فِي الْخَنْدَقِ فَقَالَ: «أَنَا نَازِلٌ» ثُمَّ قَامَ وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ، وَلَبِثْنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لاَ نَذُوقُ ذَوَاقًا، فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ الْمِعْوَلَ فَضَرَبَ فَعَادَ كَثِيبًا أَهْيَلَ أَوْ أَهْيَمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: ائْذَنْ لِي إِلَى الْبَيْتِ، فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي: رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ ﷺ شَيْئًا مَا كَانَ فِي ذَلِكَ صَبْرٌ، فَعِنْدَكِ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: عِنْدِي شَعِيرٌ وَعَنَاقٌ، فَذَبَحْتُ الْعَنَاقَ، وَطَحَنَتِ الشَّعِيرَ، حَتَّى جَعَلْنَا اللَّحْمَ فِي الْبُرْمَةِ، ثُمَّ جِئْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَالْعَجِينُ قَدْ انْكَسَرَ، وَالْبُرْمَةُ بَيْنَ الْأَثَافِيِّ قَدْ كَادَتْ أَنْ تَنْضَجَ فَقُلْتُ: طُعَيِّمٌ لِي فَقُمْ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَجُلٌ أَوْ رَجُلَانِ، قَالَ: «كَمْ هُوَ؟» فَذَكَرْتُ لَهُ قَالَ: «كَثِيرٌ طَيِّبٌ» قَالَ: «قُلْ لَهَا: لَا تَنْزِعِ الْبُرْمَةَ، وَلاَ الْخُبْزَ مِنَ التَّنُّورِ حَتَّى آتِيَ» فَقَالَ: «قُومُوا» فَقَامَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ قَالَ: وَيْحَكِ جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَمَنْ مَعَهُمْ، قَالَتْ: هَلْ سَأَلَكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ؛ فَقَالَ: «ادْخُلُوا وَلَا تَضَاغَطُوا» فَجَعَلَ يَكْسِرُ الْخُبْزَ، وَيَجْعَلُ عَلَيْهِ اللَّحْمَ، وَيُخَمِّرُ الْبُرْمَةَ وَالتَّنُّورَ إِذَا أَخَذَ مِنْهُ، وَيُقَرِّبُ إِلَى أَصْحَابِهِ، ثُمَّ يَنْزِعُ، فَلَمْ يَزَلْ يَكْسِرُ الْخُبْزَ وَيَغْرِفُ حَتَّى شَبِعُوا، وَبَقِيَ بَقِيَّةٌ، قَالَ: «كُلِي هَذَا وَأَهْدِي؛ فَإِنَّ النَّاسَ أَصَابَتْهُمْ مَجَاعَةٌ»[1].

ويظهر عميق إيمان الصحابة بالرسول ﷺ من قول زوج جابر حينما قالت له: (هَلْ سَأَلَكَ) أي: هل سألك رسول الله ﷺ عن حال الطعام؟ أصابها القلق خشية أن جابرًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يخبر النبي ﷺ بقلة الطعام، فلما علمت أنه أخبره زال خوفها وسكن

(١) متفق عليه، رواه البخاري - واللفظ له - في المغازي، باب غزوة الأحزاب وهي الخندق (ح: ٤١٠١). ومسلم في الأشربة، باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك وبتحققه تحققًا تامًّا....(ح: ٢٠٣٩).

لِعِلْمِهَا بِإِمْكَانِ خَرْقِ الْعَادَة، وَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى وُفُورِ عَقْلِهَا وَكَمَالِ فَضْلِهَا[1].

وفي لفظ قَالَ جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (لَمَّا حُفِرَ الْخَنْدَقُ رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ ﷺ خَمَصًا شَدِيدًا، فَانْكَفَأْتُ إِلَى امْرَأَتِي فَقُلْتُ: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ، فَإِنِّي رَأَيْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَمَصًا شَدِيدًا، فَأَخْرَجَتْ إِلَيَّ جِرَابًا فِيهِ صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ، وَلَنَا بُهَيْمَةٌ دَاجِنٌ، فَذَبَحْتُهَا وَطَحَنَتْ الشَّعِيرَ، فَفَرَغَتْ إِلَى فَرَاغِي وَقَطَّعْتُهَا فِي بُرْمَتِهَا، ثُمَّ وَلَّيْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: لَا تَفْضَحْنِي بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبِمَنْ مَعَهُ، فَجِئْتُهُ فَسَارَرْتُهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَبَحْنَا بُهَيْمَةً لَنَا، وَطَحَنَّا صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ كَانَ عِنْدَنَا، فَتَعَالَ أَنْتَ وَنَفَرٌ مَعَكَ، فَصَاحَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «يَا أَهْلَ الْخَنْدَقِ! إِنَّ جَابِرًا قَدْ صَنَعَ سُورًا فَحَيَّ هَلًا بِكُمْ» فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تُنْزِلُنَّ بُرْمَتَكُمْ، وَلَا تَخْبِزُنَّ عَجِينَكُمْ حَتَّى آجِيءَ» فَجِئْتُ وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْدُمُ النَّاسَ حَتَّى جِئْتُ امْرَأَتِي فَقَالَتْ: بِكَ وَبِكَ، فَقُلْتُ: قَدْ فَعَلْتُ الَّذِي قُلْتِ، فَأَخْرَجَتْ لَهُ عَجِينًا فَبَصَقَ فِيهِ وَبَارَكَ، ثُمَّ عَمَدَ إِلَى بُرْمَتِنَا فَبَصَقَ وَبَارَكَ، ثُمَّ قَالَ: «ادْعُ خَابِزَةً فَلْتَخْبِزْ مَعِي، وَاقْدَحِي مِنْ بُرْمَتِكُمْ، وَلَا تُنْزِلُوهَا» وَهُمْ أَلْفٌ، فَأُقْسِمُ بِاللَّهِ لَقَدْ أَكَلُوا حَتَّى تَرَكُوهُ وَانْحَرَفُوا وَإِنَّ بُرْمَتَنَا لَتَغِطُّ كَمَا هِيَ، وَإِنَّ عَجِينَنَا لَيُخْبَزُ كَمَا هُوَ[2].

موقف عصيب، وجوع شديد، وتعب وإنهاك، وبرد، وخوف، فلما أنعم الله سبحانه وتعالى على جابر وأهله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بالطعام، ثم أنعم عليهم ثانيًا بمواساة النبي ﷺ في جوعه، فلم يستأثر النبيُّ ﷺ بالطعام وحده؛ بل واسى فيه أصحابه أجمعين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فكانت ثمرة هذه المواساة المتبادلة نزول البركة من الله سبحانه وتعالى، وتكاثر الطعام؛ كل هذا ببركة الثقة العظيمة بالله سبحانه وتعالى ومعيته عز وجل مع شيوع روح الأخوة والتكاتف والتعاون، وحب المسلمين بعضهم لبعض حبًّا يدفعهم إلى المواساة في الشدائد والأزمات.

---

(١) انظر شرح الحديث في: فتح الباري (٧/ ٣٩٨).

(٢) انظر: الحاشية ما قبل السابقة.

النموذج الثالث: من تفاؤله ﷺ في غزواته:

هناك موقف ثالث في هذه الغزوة ظهر فيه -أيضًا- تفاؤل النبي ﷺ جليًّا، وهو أنه لما بلغه غدر يهود بني قريظة ونقضهم للعهد في تلك اللحظة -وهي مصيبة أخرى مع تلك المصائب- لم يستعجل ﷺ بل أراد أن يتأكد من الخبر فبعث ﷺ سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة، وعبد الله بن رواحة، وَخَوَّاتَ بْنَ جُبَيْرٍ[1]، وقال: «انْطَلِقُوا حَتَّى تَنْظُرُوا أَحَقٌّ مَا بَلَغَنَا عَنْ هَؤُلاَءِ الْقَوْمِ أَمْ لَا؟ فَإِنْ كَانَ حَقًّا فَالْحَنُوا لِي لَحْنًا[2] أَعْرِفُهُ، وَلاَ تَفُتُّوا فِيْ أَعْضَادِ النَّاسِ، وَإِنْ كَانُوا عَلَى الْوَفَاءِ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُم فَاجْهَرُوا بِهِ لِلنَّاسِ» [3].

يا الله ما أروع الحبيب ﷺ! وأروع كلماته التي تنضح تربيةً وإرشادًا ونَفَسًا عجيبًا، وما أروع منهجه ﷺ وحكمته في التثبت من الأخبار والتأكد من نقلها مع إن تاريخ اليهود مليء بالغدر والخيانة في الأوقات الحرجة إلا إنه ﷺ لا يريد البناءَ على علمه فقط؛ بل يبني على حقائق من أرض الواقع، ثم تأمل -أيها القارئ الكريم- كيف تجلت حكمته ﷺ بتوجيهاته لمن أرسلهم ليستبينوا أمر الغدر بغير أن يبثوا الوهن واليأس بين الناس حتى وإن كان الخبر صحيحًا، ولما تحققوا من نقض العهد وغدر اليهود أقبل هؤلاء الرسل إلى رسول الله ﷺ، ولحنوا له بقولهم: (عَضَلٍ وَالْقَارَةِ) أي: غدروا كغدر عَضَلٍ وَالْقَارَةِ بأصحاب الرجيع، وهنا يأتي العجب العجاب، والموقف المدهش من النبي ﷺ الذي مُلئ تفاؤلًا وإذا به ﷺ يرفع صوته قائلًا:

---

(١) هو: خوات بن جبير الأنصاري الأوسي، يكنى أبا عبد الله، وقيل: أبو صالح، وكان أحد فرسان رسول الله ﷺ. (انظر: أسد الغابة، ٢/ ١٢٥).

(٢) اللحن: الميل عن جهة الاستقامة، يقال: لحنت لفلان، إذا قلت قولًا يفهمه ويخفى على غيره. (النهاية، ٤/ ٢٤١).

(٣) انظر في تخريجه: الحاشية التالية.

«اللَّـهُ أَكْبَرُ أَبْشِرُوا يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ!»[1].

وفي مغازي موسى بن عقبة: فلما رأى رسول الله ﷺ ما فيه الناس من البلاء والكرب جعل يبشرهم ويقول: «والَّذِي نفسِي بِيَدِهِ لَيفرجن عنكم ما ترون من الشدة والبلاء؛ فإني لأرجو أن أطوف بالبيت العتيق آمنًا، وأن يدفع الله - عز وجل - مفاتح الكعبة، وليهلكن الله كسرى وقيصر، ولتنفقن كنوزهما في سبيل الله»[2].

النموذج الرابع: من تفاؤله ﷺ في غزواته:

ما حصل في غزوة خيبر، حين باغت رسول الله ﷺ وأصحابه يهودَ خيبر، وغزاهم ونزل بساحتهم، ورآهم يخرجون بمكاتلهم، وفئوسهم، ومساحيهم، فتفاءَلَ النبي ﷺ برؤية هذه الآلات، وأنها دليل خرابهم وهزيمتهم بإذن الله سبحانه وتعالى، وجعلها دليلًا على انتصاره عليهم، والحديث في الصحيحين، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا غَزَا بِنَا قَوْمًا لَمْ يَكُنْ يَغْزُو بِنَا حَتَّى يُصْبِحَ وَيَنْظُرَ فَإِنْ سَمِعَ أَذَانًا كَفَّ عَنْهُمْ، وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ أَذَانًا أَغَارَ عَلَيْهِمْ، قَالَ: فَخَرَجْنَا إِلَى خَيْبَرَ، فَانْتَهَيْنَا إِلَيْهِمْ لَيْلًا، فَلَمَّا أَصْبَحَ وَلَمْ يَسْمَعْ أَذَانًا رَكِبَ وَرَكِبْتُ خَلْفَ أَبِي طَلْحَةَ وَإِنَّ قَدَمِي لَتَمَسُّ قَدَمَ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: فَخَرَجُوا إِلَيْنَا بِمَكَاتِلِهِم وَمَسَاحِيهِم، فَلَمَّا رَأَوُا النَّبِيَّ ﷺ قَالُوا: مُحَمَّدٌ وَاللَّهِ مُحَمَّدٌ وَالْخَمِيسُ!! قَالَ: فَلَمَّا رَآهُم رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اللَّهُ

(١) ذكره ابن إسحاق (سيرة ابن هشام، ٢/ ٢٢١) معلقًا ومنقطعًا. والقصة مشهورة في كتب التاريخ والسير، انظرها في: طبقات ابن سعد باقتضاب (٢/ ٦٧). وجامع البيان للطبري (٢١/ ١٢٩-١٣١). وتاريخ الأمم والملوك له أيضًا (٣/ ٤٦، ٤٧)، والدلائل للبيهقي (٢/ ٢٢٠)، وفي البداية لابن كثير (٤/ ١٠٩). والسيرة النبوية له أيضًا (٢/ ٢٢٠). والروض الأنف للسهيلي (٣/ ٢٦٨). وعيون الأثر لابن سيد الناس (٣/ ٥٩).

(٢) انظر القصة في السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٢٢٠- ٢٢١- ٢٢٢). وغيرها من المراجع المذكورة في الحاشية السابقة.

أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ»[1].

الحديث واضح في تفاؤله حينما رآهم يخرجون بالمكاتل والفئوس والمساحي، وكان تفاؤله ﷺ مستوحًى من الحال والمقام حيث تفاءَلَ بما يحملون من آلات على تدميرهم وهزيمتهم فقال: «اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، خَرِبَتْ خَيْبَرُ».

وذكر ابن القيم من فوائد الحديث: (جَوَازُ التَّفَاؤُلِ بَلْ اسْتِحْبَابُهُ بِمَا يَرَاهُ أَوْ يَسْمَعُهُ مِمّا هُوَ مِنْ أَسْبَابِ ظُهُورِ الْإِسْلَامِ وَإِعْلَامِهِ، كَمَا تَفَاءَلَ النَّبِيُّ ﷺ بِرُؤْيَةِ الْمَسَاحِي وَالْفُؤُوسِ وَالْمَكَاتِلِ مَعَ أَهْلِ خَيْبَرَ فَإِنَّ ذَلِكَ فَأْلٌ فِي خَرَابِهَا)[2].

وقال السهيلي: (وَقَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ رَآهُم اللَّهُ أَكْبَرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ. فِيهِ إبَاحَةُ التَّفَاؤُلِ وَقُوَّةٌ لِمَنْ اسْتَجَازَ الرَّجَزَ...، وَذَلِكَ أَنَّهُ رَأَى الْمَسَاحِيَ وَالْمَكَاتِلَ وَهِيَ مِنْ آلَةِ الْهَدْمِ، وَالْحَفْرِ مَعَ أَنَّ لَفْظَ الْمِسْحَاةِ مِنْ سَحَوْت الْأَرْضَ إذَا قَشَرْتهَا، فَدَلّ ذَلِكَ عَلَى خَرَابِ الْبَلْدَةِ الَّتِي أَشْرَفَ عَلَيْهَا)[3].

النموذج الخامس: من تفاؤله ﷺ في غزواته:

كان ﷺ يختار لأصحابه شعارًا مميزًا يعرفون به، وفيه التفاؤل بالنصر، وهزيمة الأعداء، وسحقهم. قال ابن القيم: (وكان شعارهم مرة: (أمت أمت)، ومرة: (يا منصور)، ومرة: (حم... لا ينصرون)[4]. وعن المهلب بن أبي صفرة قال: أَخْبَرَنِي

(١) متفق عليه، رواه البخاري -واللفظ له- في الأذان، باب ما يحقن بالأذان من الدماء (ح: ١١٠)، ومسلم في النكاح، باب فضيلة إعتاقه أمته ثم يتزوجها (ح: ١٣٦٥).

(٢) زاد المعاد (٣/ ٣٠٥).

(٣) الروض الأنف (٤/ ٦٨).

(٤) زاد المعاد (٣/ ٩٩).

مَنْ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنْ بُيِّتُّمْ فَلْيَكُنْ شِعَارُكُمْ حم... لاَ يُنْصَرُونَ»[1]. والرجل الذي لم يسمه المهلب هو: البراء بن عازب كما جاء في رواية أخرى، وعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّكُمْ تَلْقَوْنَ عَدُوَّكُمْ غَدًا فَلْيَكُنْ شِعَارُكُمْ: حم... لاَ يُنْصَرُونَ»[2].

قال الشوكاني: (قوله: (حم... لا ينصرون) هذا اللفظ فيه التفاؤل بعدم انتصار الخصم مع حصول الغرض بالشعار وهو العلامة في الحرب، يقال: نادوا بشعارهم أو جعلوا لأنفسهم شعارًا، والمراد أنهم جعلوا العلامة بينهم لمعرفة بعضهم بعضًا في ظلمة الليل هو التكلم عند أن يهجم عليه العدو بهذا اللفظ. قوله: (أمت، أمت) أمر بالموت، وفيه التفاؤل بموت الخصم.

(يا منصور، أمت، أمت) وفي آخر (يا منص) وهو ترخيم منصور محذوف الراء والواو)[3].

وعن سلمة بن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (غَزَوْنَا مَعَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ زَمَنَ النَّبِيِّ ﷺ

(١) رواه أبو داود في الجهاد، باب في الرجل ينادي بالشعار (ح:٢٥٩٧). والترمذي في الجهاد، باب ما جاء في الشعار (ح: ١٦٨٢)، والنسائي في الكبرى (ح:٨٨١٠)، والإمام أحمد(١٦٦١٥)، والحاكم (٢/ ١٠٧). وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين إلا أن فيه إرسالًا فإذا الرجل الذي لم يسمه المهلب بن أبي صفرة البراء بن عازب». ورواه البيهقي في (السنن الصغرى، ٣/ ١٦٨). وقال ابن كثير في التفسير (٤/ ٨٦): «وهذا إسناد صحيح». وصححه الألباني في صحيح أبي داود (ح: ٢٢٦٣)، والأرنؤوط وزميله في تحقيقهما لسنن أبي داود (٤/ ٢٣٨).

(٢) رواه النسائي في الكبرى (١٠٣٧٦)، والبيهقي في (الكبرى، ٦/ ٣٦٢). وفي (الصغرى، ٣/ ١٦٨). وذكره السيوطي في (الدر المنثور، ٧/ ٢٧٠). والرويانى (١/ ٢٠٩، ح: ٢٨٢). والحاكم (٢/ ١٠٧). وذكره الألباني في الصحيحة (ح: ٣٠٩٧).

(٣) نيل الأوطار (٧/ ٢٨٧).

فَكَانَ شِعَارُنَا: أَمِتْ، أَمِتْ)[1].

أمتْ: أَمْرٌ بالموْتِ. والمراد به التفاؤُل بالنَّصرِ بعدَ الأمْرِ بالإمَاتَةِ مع حُصُولِ الغَرَضِ للشِّعارِ، فإنَّهم جَعلوا هذه الكَلِمةَ علامةً بينهم يتَعارفُون بها لأجْل ظُلْمةِ اللَّيلِ)[2].

فما أحوج أمتنا الإسلامية اليوم أفرادًا وجماعات لرفع شعارات التفاؤل، وتحفيز النفوس، والرفع من همتها، ونشاطها بالجد والعمل الذي يسبقه الثقة بالله عز وجل والفأل الحسن كمَا كان ﷺ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ خاصة في أثناء الشدائد والمحن، ومواقف الأزمات التي تمر بها الأمة الإسلامية، وما أكثرها..!!

(١) رواه أبو داود في الجهاد، باب في الرجل ينادي بالشعار (ح: ٢٥٩٦). رجال سنده ثقات إلا عكرمة بن عمار، قال الذهبي في (الكاشف، ٢/ ٣٣): «ثقة إلا في يحيى بن أبي كثير فمضطرب، وكان مجاب الدعوة»، وروايته هنا عَنْ إِيَاسِ بْنِ سَلَمَةَ. وقال ابن حجر في (التقريب، ترجمة: ٤٧٠٦): «صدوق يغلط».
وأخرجه النسائي بالكبرى (ح: ٨٦١٢: ٨٨١١)، والإمام أحمد(١٦٤٩٨)، وابن حبان (الإحسان ح: ٤٧٤٤)، والحاكم (٢/ ١٠٧)، وعن طريقه البيهقي في الكبرى(١٣٠٥٣)، وفي (الصغرى (٣/ ١٦٨). والبغوي في (شرح السنة، ١١/ ٥٣). والحاكم (٢/ ١٠٧) وقال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وله شاهد صحيح على شرط مسلم»، ووافقه الذهبي. وقال الألباني في صحيح أبي داود (ح: ٢٢٦١): «حسن صحيح»، وقال الأرنؤوط في تحقيقه لصحيح ابن حبان (١١/ ٤٨): «إسناده حسن».

(٢) النهاية في غريب الأثر (٤/ ٨٠٩).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وقد توصل البحث -بفضل الله ومنه- إلى عدد من النتائج يحسن ذكرها في الخاتمة، ومن أبرزها:

١- أن كل ذي فطرة سليمة متفائل، والذي يميز الناجح عن غيره هو التفاؤل في الشدائد، والأزمات.

٢- أن النبي ﷺ كان متفائلًا دومًا، ويحب التفاؤل، ويعجب به، وأن تفاؤله يبلغ مداه في حروبه وغزواته، حتى أصبح منهجًا عمليًّا وتربويًّا له ﷺ.

٣- أن التفاؤل الحسن جائز شرعًا ما لم يقصده، وإن قصده فيصير من الطيرة، مثل أخذ الفأل من المصحف كأن يفتحه فيتفاءل ببعض الآيات في أول الصفحة.

٤- إن التطير والتشاؤم محرم شرعًا، وإنه لمن أعظم أسباب الوهن والهزيمة.

٥- التواصي بين المؤمنين في مثل هذا الواقع الذي تتتابع فيه الفتن كتتابع المطر بأن المؤمن حق الإيمان متفائل إيجابي في أموره كلها، حتى في الفتن والأزمات، على أن يعطي الأزمة حجمها الطبيعي، ويضعها في إطارها الصحيح، دون تضخيم وتهويل، أو تقليل من شأنها، ويوظفها التوظيف الحسن بالكشف عن وجوهها المشرقة، واستثمار هذه الوجوه استثمارًا مفيدًا في تربية الذات، ومراجعة الحسابات، وترتيب الأولويات، وتشجيع من حوله وتحفيزهم.

٦- تفاؤل المؤمن بلسم للأدواء، ومرهم للجراح، وإكسير عظيم يقلب المحنة منحة، والنقمة نعمة، والعذاب نعيمًا، والمصائب ثوابًا وذخرًا عند الله؛ لأن الإيمان الحق يمنح المؤمن الشكر والرضا، والصبر على مر القضاء، والبصيرة والصمود والثبات.

وهو علاج ناجع لأمراض العصر المتفشية التي إن لم تعالج ستأتي على الأخضر واليابس، كالتكفير والتفسيق، والتنطع والتشدد.. والانتحار، والقلق والاكتئاب، ونحوها.

٧- التفاؤل في الأزمات والشدائد تربية قرآنية، فقصة الإفك رغم شناعتها علمنا القرآن أنها ليست شرًّا محضًا، بل فيها خير ووجوه مشرقة لمن تدبرها وأمعن النظر فيها، قال سبحانه وتعالى: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[1].

٨- اليقظة ومراجعة النفس واستشراف المستقبل والتخطيط له على ضوء قراءة الفأل الحسن والنظرة الإيجابية، خاصة عند محاولة استثمار الأزمات والشدائد، فإن السر في تأكيد عقيدة الإسلام وشعائره على التفاؤل دومًا هو أنه يغرس في النفوس الإيجابية، وتحمل المسؤولية، وحسب العمل والصبر والمثابرة، مهما كانت المصاعب، وتراكمت المتاعب.

٩- خطورة التشاؤم واليأس والقنوط ونكران الماضي وجلد الذات، لأن هذه الأمور متى ما تسربت إلى النفوس أقعدتها وأهلكتها، وأورثتها الذل والتبعية، وجعلتها سلبية؛ وقتلت فيها الطموح والثقة واليقين، وأصبحت تأكل بعضها بعضًا تنازعًا وتفرقةً وتحزبًا وتحريشًا، ثم هزيمة نكراء.

---

(١) سورة النور: [١١].

١٠- نحتــاج لرجالٍ وحكماء وعقلاء ممتلئةً قلوبُهم تفــاؤلًا وعملًا، ويلجأ إليهم الناس عند الشدائد والمحن؛ فالتفاؤل في الأزمات مكمن التجارب، ومعدن الخبرات، فالحوادث ظروف مملوءة بالعبر والعظات، فاللبن الصريح تحت الرغوةِ.

١١- والخلاصة: إن للتفاؤل فوائدَ جمةٍ، منها:

أ- اتباع هدي النبي ﷺ، وهذه أعظم فائدة.

ب- أنه من باب حسن الظّنّ والثقة باللّه ســبحانه وتعالى، والمؤمن مأمور بأن يحسن ظنه بالله سبحانه وتعالى على كل حال.

ج- أن التفاؤل يجلب السّعادة إلى النّفس والانشراح إلى القلب بإذن الله.

د- أن التفاؤل من الرجاء، والرجاء خير للمؤمن، لأنه لا ييأس ولا يقنط من رحمة الله إلا القوم الكافرون.

هـ- في الفأل تقوية للعزائم، ومعونة على الظّفر، وباعث على الجدّ.

و- أن للأسماء الحسنة تأثيرًا في مسمياتها، وللمسميات تأثر بأسمائها، في الحسن والقبح، والخفة والثقل، واللطافة والكثافة.

ز- أن الفأل الحسن كثيرًا ما يكون ســببًا لحصول الخير بإذن الله سبحانه وتعالى.

والحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع (١)

١- أخلاق النبي وآدابه، للإمام عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني، المشهور بأبي الشيخ، (٢٧٤ - ٣٦٩)، تحقيق: صالح بن محمد الونيان، (١٩٩٨م)، الناشر: دار المسلم للنشر والتوزيع.

٢- الأدب المفرد، لمحمد بن إسماعيل البخاري (١٩٤-٢٥٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٣- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، ط:١ (١٣٩٩هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت.

٤- البداية والنهاية، للحافظ ابن كثير (٧٠٠- ٧٧٤ هـ)، ط: ٦، (١٤٠٥هـ)، مكتبة المعارف.

٥- تاريخ الأمم والملوك، للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ)، دار الفكر (١٣٩٩هـ).

٦- تاريخ المدينة، لابن شبة النميري البصري (١٧٣ هـ - ٢٦٢ هـ)، دار الفكر الجزء الأول، تحقيق: فهيم محمد شلتوت.

---

(١) رُتِّب هذا الفهرس حسب الحروف الهجائية دون اعتبار (أل) التعريف المصدَّر بها اسم الكتاب.

٧- تأويل مختلف الحديث، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، دار المكتب الإسلامي، ومؤسسة الإشراق، ط:٢، (١٤١٩هـ).

٨- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، لمحمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت.

٩- تفسير القرآن العظيم، للحافظ ابن كثير (٧٠٠- ٧٧٤ هـ)، تحقيق: عبد العزيز غنيم ومحمد أحمد عاشور ومحمد إبراهيم البنا، دار الشعب، القاهرة.

١٠- تقريب التهذيب، للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣-٨٥٢هـ) بتقديم ودراسة: محمد عوامة، ط:١(١٤٠٦ هـ). دار الرشيد، سورية.

١١- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، ط: ١، (١٤١٩هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية. بيروت.

١٢- تهذيب التهذيب، للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣-٨٥٢هـ)، ط:١، دائرة المعارف النظامية، الهند (١٣٢٥ هـ).

١٣- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للحافظ أبي الحجاج يوسف المزي (٦٥٤-٧٤٢هـ)، تحقيق: د. بشار عواد، ط:٢، (١٤٠٣هـ). مؤسسة الرسالة.

١٤- القول المفيد على كتاب التوحيد، للعلامة محمد بن صالح العثيمين، الطبعة: الثانية، (محرم ١٤٢٤هـ)، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية.

١٥- الثقات، للإمام الحافظ محمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم التميمي البستي (ت: ٣٥٤هـ)، ط:١، بمطبعة مجلس دائرة المعارف النعمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، (١٣٩٨).

١٦- جامع البيان في تفسير القرآن، لإمام المفسرين أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، (ت:٣١٠هـ)، ط:١، (١٣٢٩هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر، ودار المعرفة، بيروت، لبنان.

١٧- جامع بيان العلم وفضله، للحافظ أبي عمر يوسف بن عبد البر (ت: ٤٦٣هـ) تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، ط:١(١٤١٤هـ) دار ابن الجوزي، السعودية.

١٨- جامع الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، (٢٠٠- ٢٧٩هـ)، ط: ٢، (١٤٢١هـ)، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض.

١٩- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ت: ٦٧١ هـ تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط: دار الكتاب العربي.

٢٠- الجامع لشعب الإيمان، للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، (٣٨٤-٤٥٨هـ)، تحقيق: د. عبد العلي عبد الحميد، ط: ١، (١٤٠٧هـ)، الدار السلفية، بومباي، الهند.

٢١- الجرح والتعديل، للإمام أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، (ت: ٣٢٧ هـ)، دائرة المعارف النعمانية، الهند (١٢٧١هـ).

٢٢- حاشية السندي على سنن ابن ماجه المسمى بـ(كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه) لمحمد بن عبد الهادي التتوي، أبي الحسن، نور الدين السندي (المتوفى: ١١٣٨هـ)، المطبوع على حاشية سنن ابن ماجه، دار الجيل، بيروت.

٢٣- حسن الظن بالله، للإمام عبد الله بن محمد أبي بكر القرشي البغدادي، تحقيق: مخلص محمد، ط:١، (١٤٠٨هـ)، دار طيبة، الرياض.

٢٤- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢٥- الدرر في اختصار المغازي والسير، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: د. شوقي ضيف، ط: ١،(١٤١٥ هـ)، ناشر: وزارة الأوقاف المصرية، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي. القاهرة.

٢٦- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لعبد الرحمن ابن الكمال جلال الدين السيوطي، دار الفكر (١٩٩٣م)، بيروت.

٢٧- ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري المسمى بالتبيان في شرح الديوان، ضبط وتصحيح: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، طبع دار المعرفة، (١٣٩٧ هـ)، ببيروت.

٢٨- ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، شرح وتقديم: عبدأ علي مهنا، ط: ٢، ١٤١٤هـ دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٩- زاد المعاد في هدي خير العباد، للإمام محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي (المشهور بابن قيم الجوزية)، (ت:٦٩١-٧٥١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، ط: ٨، (١٤٠٥ هـ)، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية.

٣٠- الزهد، للإمام عبد الله بن المبارك المروزي (ت: ١٨١هـ) تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٣١- سلسلة الأحاديث الصحيحة، لمحمد ناصر الدين الألباني، (١٣٣٣-١٤٢٠هـ)، ط:٤ (١٤٠٥هـ) المكتب الإسلامي.

٣٢- سلسلة الأحاديث الضعيفة، لمحمد ناصر الدين الألباني، (١٣٣٣-١٤٢٠هـ)، ط:٤ مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.

٣٣- سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث السجستاني (٢٠٢-٢٧٥هـ) ط: ٢، (١٤٢١هـ) دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض.

٣٤- سنن ابن ماجه، لمحمد بن يزيد بن ماجه، (٢٠٩- ٢٧٣هـ) ط: ٢، (١٤٢١هـ) دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض.

٣٥- السنن الكبرى، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، (٣٨٤-٤٥٨هـ)، وفي ذيله الجوهر النقي لابن التركماني، علاء الدين بن علي بن عثمان المارديني (ت: ٧٤٥هـ)، دار المعرفة، بيروت.

٣٦- السنن الكبرى، للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، (٢١٥-٣٠٣هـ)، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن. ط:١، (١٤١١هـ)، دار الكتب العلمية.

٣٧- السنن الصغرى، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي.

٣٨- السيرة النبوية، للإمام عبد الملك بن هشام الذهلي السدوسي، (ت: ٢١٨هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي مؤسسة علوم القرآن.

٣٩- السيرة النبوية، المسمى: عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، للإمام محمد بن عبد الله بن يحي ابن سيد الناس، (٦٧١ - ٧٣٤ هـ)، طبع: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، (١٤٠٦ هـ)، بيروت - لبنان.

٤٠- شرح السنة، للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، (٤٣٦-٥١٦هـ)، تحقيق: الشاويش وشعيب الأرنؤوط، ط:٢، (١٤٠٣هـ)، المكتب الإسلامي.

٤١- شرح صحيح البخاري، لأبي الحسن علي بن خلف بن بطال البكري القرطبي، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، (١٤٢٣هـ)، السعودية.

٤٢- صحيح ابن حبان (بترتيب ابن بلبان)، لمحمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم التميمي البستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط: ٢، (١٤١٤هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت.

٤٣- صحيح الأدب المفرد للبخاري، للمحدث محمد ناصر الدين الألباني، (١٣٣٣- ١٤٢٠هـ) ط:١، (١٤١٤هـ)، دار الصديق، المملكة العربية السعودية.

٤٤- صحيح البخاري، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، (١٩٤-٢٥٦هـ)، ط:٢، (١٤٢١هـ)، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض.

٤٥- صحيح الجامع الصغير وزيادته، للمحدث محمد ناصر الدين الألباني، ط:٢، (١٤٠٦هـ)، المكتب الإسلامي.

٤٦- صحيح سنن أبي داود، للمحدث محمد ناصر الدين الألباني، (١٣٣٣- ١٤٢٠هـ) ط:١، (١٤٠٩هـ)، مكتب التربية العربي لدول الخليج.

٤٧- صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (٢٠٤- ٢٦١هـ)، ط: ٢، (١٤٢١هـ)، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض.

٤٨- الضعفاء الكبير، لأبي جعفر محمد بن عمرو العقيلي المكي (ت: ٣٢٢)، تحقيق: د. عبد المعطي أمين قلعجي ط:١، (١٤٠٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٩- الطبقات الكبرى، للإمام محمد بن سعد (ت: ٢٣٠ أو ٢٣٥هـ)، دار بيروت للطباعة والنشر، (١٤٠٠هـ)، بيروت.

٥٠- الفائق في غريب الحديث والأثر، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط:٢، دار المعرفة، لبنان.

٥١- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني(٧٧٣- ٨٥٢هـ) دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٥٢- القاموس المحيط، للفيروز آبادي، ط:٢، (١٤٠٧هـ)، بمؤسسة الرسالة، ببيروت.

٥٣- القول المسدد في الذب عن المسند للإمام أحمد، لأحمد بن علي العسقلاني أبي الفضل، تحقيق: مكتبة ابن تيمية، ط: ١، (١٤٠١هـ)، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

٥٤- الكامل في ضعفاء الرجال، للحافظ أبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني، (ت: ٢٧٧-٣٦٥هـ)، ط: ٣، (١٤٠٩هـ)، دار الفكر، بيروت.

٥٥- كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (٧٣٥- ٨٠٧هـ) تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط: ٢، (١٤٠٤هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٥٦- لسان العرب، لجمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، دار صادر، بيروت.

٥٧- لسان الميزان، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت: ٧٧٣-٨٥٢هـ)، ط:٢، (١٤٠٦هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

٥٨- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، (ت: ٨٠٧هـ) ط:٣، (١٤٠٢هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٥٩- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي بن سلطان محمد، أبي الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، ط:١،(١٤٢٢هـ)، دار الفكر، بيروت - لبنان.

٦٠- المستدرك على الصحيحين، للحاكم أبي عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري، (ت: ٤٠٥هـ)، وبذيله: التلخيص للحافظ الذهبي، بإشراف: د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٦١- مسند الإمام أحمد بن محمد بن حنبل (١٦٤-٢٤١هـ)، دار الفكر العربي، بيروت.

٦٢- مسند أبي يعلى الموصلي، لأحمد بن علي بن المثنى التميمي، (٢١٠-٣٠٧هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد، ط:١،(١٤٠٤هـ) دار المأمون للتراث، دمشق.

٦٣- مسند أبي داود الطيالسي، لسليمان بن داود بن الجارود، (ت: ٢٠٤هـ)، تحقيق: د. محمد بن عبد المحسن التركي، ط:١، (١٤٢٠هـ) دار هجر، جيزة، مصر.

٦٤- مسند الروياني، للحافظ أبي بكر محمد بن هارون الروياني، (ت: ٣٠٧هـ)، ضبط وتعليق: أيمن علي أبو يماني، ط: ١، (١٤١٦هـ)، مؤسسة قرطبة.

٦٥- المعجم، لأبي سعيد أحمد بن محمد بن زياد بن الأعرابي (ت: ٣٤١)، تحقيق: د. أحمد بن ميرين سياد البلوشي، ط:١، (١٤١٢هـ)، مكتبة الكوثر، الرياض.

٦٦- المعجم الكبير، للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٢٦٠-٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي.

٦٧- معجم البلدان، للإمام شهاب الدين أبي عبد الله الياقوت الحموي (ت: ٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت.

٦٨- المعجم الوسيط، قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد النجار. المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، استانبول، تركية.

٦٩- المغازي، محمد بن عمر بن واقد (الواقدي) (ت: ٢٠٧هـ) تحقيق: د. مارسدن جونس، ط:٣، (١٤٠٤هـ) عالم الكتب، بيروت.

٧٠- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبي عبد الله (الشهير بابن قيم الجوزية) (ت:٦٩١-٧٥١هـ). تحقيق: علي بن حسن الحلبي الأثري، ومراجعة الشيخ بكر أبو زيد، ط:١، (١٤١٦هـ)، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، الخبر، المملكة العربية السعودية.

٧١- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، لأبي العباس أحمد بن عمر القرطبي (٥٧٨- ٦٥٦)، تحقيق محيي الدين مستو وزملائه، ط:١، (١٤١٧هـ)، دار ابن كثير، ودار القلم، دمشق، بيروت.

٧٢- المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي، تحقيق: عصام الصبابطي وآخرين، ط: ١، (١٤١٥هـ)، دار أبي حيان.

٧٣- الموطأ، للإمام مالك بن أنس، بتصحيح وترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.

٧٤- النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري (الشهير بابن الأثير)، (ت: ٥٤٤- ٦٠٦هـ) تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت.

٧٥- المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، لمحمد بن محمد حسن شُرَّاب، ط:١، (١٤١١ هـ)، دار القلم، والدار الشامية، دمشق- بيروت.

٧٦- معجم البلدان، لشهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، ط:٢، (١٩٩٥م)، دار صادر، بيروت.

٧٧- معجم المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية، لعاتق بن غيث البلادي، ط:١، (١٤٠٢هـ)، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة.

٧٨- موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، أ. د. حكمت بن بشير بن ياسين، ط:١، (١٤٢٠هـ)، دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة، المدينة النبوية.

٧٩- موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية، إعداد مجموعة من الباحثين، وعلى رأسهم: أ. د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك. دار رَواح للنشر والتوزيع.

٨٠- الموسوعة الفقهية الكويتية، إعداد مجموعة من المختصين في وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت، ط: ٢، الكويت.

٨١- نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، إعداد: عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، ط:١، (١٤١٨هـ)، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة.

٨٢- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، لأبي العباس أحمد بن علي القلقشندي (المتوفى: ٨٢١هـ)، تحقيق: إبراهيم الإبياري، ط:٢، (١٤٠٠هـ)، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

٨٣- نيل الأوطار شـــرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأبرار، لمحمد بن علي ابن محمد الشوكاني، (١١٧٣ - ١٢٥٠هـ)، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، ط:١، (١٤١٣هـ)، دار الحديث، مصر.

فهرس الموضوعات

الموضوع — رقم الصفحة

المقدمة ٥

أهمية الموضوع ٦

خطة الكتاب..... ٧

الفصل الأول في حبه ﷺ للفأل الحسن، ومعنى التفاؤل، وحكمه، وفوائده، وسمات المتفائلين ٩

المبحث الأول: حبه ﷺ للفأل الحسن، وأنه نابع من إيمانه ويقينه..... ١١

المبحث الثاني: التفاؤل لغةً واصطلاحًا ١٣

المبحث الثالث: حكم الفأل الحسن ١٥

المبحث الرابع: فوائد التفاؤل..... ٢١

المبحث الخامس: في سمات المتفائلين..... ٢٧

الفصل الثاني: صور من تفاؤله ﷺ في الأزمات والشدائد..... ٣١

المبحث الأول: صور من تفاؤله ﷺ في الشدائد في حالات السِّلم..... ٣٣

النموذج الأول من تفاؤله ﷺ في السلم ٣٣

النموذج الثاني من تفاؤله ﷺ في السلم ٤٢

النموذج الثالث من تفاؤله ﷺ في السلم ٤٥

النموذج الرابع من تفاؤله ﷺ في السلم ٤٦

النموذج الخامس من تفاؤله ﷺ في السلم ٤٧

المبحث الثاني: صور من تفاؤله ﷺ في حالات الحروب..... ٤٩

النموذج الأول من تفاؤله ﷺ في غزواته ٤٩

النموذج الثاني من تفاؤله ﷺ في غزواته ٥٤

النموذج الثالث من تفاؤله ﷺ في غزواته ٥٧
النموذج الرابع من تفاؤله ﷺ في غزواته ٥٨
النموذج الخامس من تفاؤله ﷺ في غزواته ٥٩
الخاتمة..... ٦٣
قائمة المصادر والمراجع ٦٧